

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع

الحب الإلهي بين  
محي الدين ابن عربي والقديس توما الأكويني

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الأستاذ :

- عبد النور خشعي

إعداد الطالبة :

- فيروز يطو

السنة الجامعية: 2016/2017

## شكر وإهداء:

**يقول تعالى:** «ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين»

أهدي ثمرة جهدي إلى الوالدين : أمي الغالية

**كلتوم** و**أبي العزيز سالم** وإلى كل من ساهم معي في إتمام هذه

المذكرة أخص بالذكر الأستاذ المشرف: **خشعي عبد النور**

وإلى إخواني الثلاث **زكري** و**يعقوب** و**العبد** وإلى أختي الغالية **مباركة**

وإلى كل الأهل والأقارب والأصدقاء، وخاصة الزملاء والزميلات الذين

اجتسعت معهم في مدرسة الحياة، كما لا يفوتني أن أهديها إلى كل

من علنا ما ينفعنا في دنيانا وآخرتنا وإلى كل من يسعى جاهدا

للساهمة في نهضة الأمة وانتشالها من براثن التخلف.

**فبراير**

-	شكر وإهداء	
-	مقدمة:.....	أ، ب، ج
-	مدخل عام.....	4
-	الفصل الاول: الحب الإلهي عند ابن عربي	
-	المبحث الأول: تعريف الحب الإلهي عند ابن عربي.....	12
-	المبحث الثاني: مراتب الحب الإلهي.....	19
-	المبحث الثالث: العقل عند ابن عربي.....	25
-	الفصل الثاني: المحبة الإلهية عند القديس توما الأكويني	
-	المبحث الأول: الحب الإلهي عند توما الأكويني.....	29
-	المبحث الثاني: العقل عند توما الأكويني.....	33
-	المبحث الثالث: أدلة وجود الله.....	35
-	الفصل الثالث: مقارنة بين القديس توما الأكويني ومحي الدين ابن عربي	
-	المبحث الاول: الجانب العملي (الصدر، المفهوم، العقيدة).....	53
-	المبحث الثاني: الجانب النظري (إرتباط المحبة بالعمل، التطبيق العملي للمحبة في الحياة).....	57
-	المبحث الثالث: أوجه الإختلاف التشابه.....	61
-	خاتمة.....	73
-	قائمة المراجع والمصادر.....	74
-	فهرس الموضوعات.....	77

إن الحب هو الذي يجعل الحياة لها معنى وقيمة وهو أساس الإجتماع البشري والحب هو جوهر الحركة في العالم فالعبد ما لم يحب لن يتحرك والمحبوب إما أن يكون محبوبا لنفسه أو محبوبا لغيره وأما أن يتحرك العبد بدافع الحب لما فيه سعادته في حياته الدنيا أو يحبه لما فيه سعادته في الآخرة أو لسعادة الدارين معا.

فلا دافع لأي فعل أدرك حركة أو سكون للعبد إلا الحب ولما كان الحب هو أصل كل فعل فإن أول حب هو الحب الإلهي الذي به تتحقق سعادة العبد في الدنيا والآخرة وإذا كان الإنسان محبا لا محالة لمحبوب ما فإن عليه أن يوجه حبه المستحق المحبة وهو الله عز وجل .

الحب هو مدار الحديث عبر الأجيال كلها وهو الموجه للعلاقات الإنسانية ولما كان الحب لدى الإنسان طاقة حب هائلة فإن الواجب أن يتعرف على مستحق المحبة على الحقيقة والتحقيق وهو الخالق تبارك وتعالى ، إن خالق الإنسان الذي خلقه وخلق له العقل والعاطفة وخلق الكون كله مسخرا للإنسان فلا حب على وجه الإستحقاق إلا لله، وقد أشهدت المسيحية بأنها دين المحبة.

الحب الإلهي من أهم موضوعات الحياة بل هو أصل حركة في الكون ولما كان الحب هو أصل كل دين ومشكلة الحب الإلهي هي تقتضي البحث في طريقة التواصل بين العاشق والمعشوق فالعشق المادي هو عشق روحي بين جسدين يجبران روحين فيكون الحب روحي من جسد إلى جسد ، فالحب عند الفلاسفة ميل طبيعي إلى المحبوب الملائم والحب عند العارفين قوة خفية تصير في المعشوق جزء من العاشق وقد تحيلها شيئا واحدا لا يقبل التجزئة.

ذهب العديد من القديسين والمتصوفين إلى الحديث عن الحب الإلهي وأثره على الإنسان على تقديم سلوكه ومنظومته الأخلاقية بشكل عام بحب يتناسب مع الحب وقيمه ومن أمثلة ذلك القديس توما الأكويني ومن المتصوفين خير مثال: الصوفي ابن عربي والراصد للتراث في كلا الديانتين يلاحظ بشكل جلي المكانة المرموقة التي احتلها الحب الإلهي في التراث المسيحي والإسلامي ، ففي كل زمان كان هناك من يتغنى بالحب الإلهي سواء على القديسين والمتصوفين وما هذا إلا تأكيد على المكانة المحورية لهذا الموضوع والأثر الكبير الذي يتركه في نفس الفرد المؤمن وسلوكه.

ويتصل الحب بالقلب والوجدان ويختلف الحب الإلهي عن الحب البشري .....

فأسباب اختيار للموضوع

1- نقص الدراسات حول الموضوع: الحب الإلهي.

2- وضع مفارقة بين المحبة الإلهية عند توما الأكويني والحب الإلهي لدى ابن عربي .

3- التأثير الجارف بين الديانة المسيحية والديانة الإسلامية.

4- تم اختيار ابن عربي وتوما الاكويني لكثرة مؤلفاتهما وقيمتها بين المفكرين والفلاسفة على الصعيد الروحي والعقلي،

ومنه يمكن طرح الاشكالية الآتية : فما المقصود بالحب الإلهي ، وما هي الصلة بين الحب الإلهي وفلسفته من خلال

أوجه الاختلاف والشبه عند كل من توما الاكويني ابن عربي وتوما الاكويني ؟.

واقتضت الضرورة إلى العلمية إلى تقسيم البحث إلى مقدمة ومدخل عام وثلاث فصول وخاتمة.

أما بدايتي كانت مدخل عام: كان عام للموضوع وهو عبارة عن تعريفات للحب الإلهي في الفكر المسيحي والنصوص

المسيحية على الذكر وعند أوغسطين بالأخص ثم تعريفه في الفكر الإسلامي فيما يختص القرآن والسنة وعند الصوفية.

فالفصل الأول فوسميته ب: المحبة الإلهية عند توما الأكويني وتناولت فيه تعريف الحب الإلهي عند توما الأكويني، العقل عند

توما، أدلة وجود الله فيما تحتوي على الصفات الإلهية، الكمال الإلهي، الخلق.

أما الفصل الثاني الذي عنوانه: الحب الإلهي عند محي الدين ابن عربي فتطرق فيه إلى تعريف الحب الإلهي عند ابن عربي،

مراتب الحب الإلهي: الطبيعي الروحاني، الإلهي ونهاية بالعقل عند ابن عربي.

وجاء الفصل الثالث والأخير مرسوما ب: مقارنة بين توما الأكويني وابن عربي في المحبة الإلهية ، تناولت فيه : مقارنة من حيث

الجانب النظري: (المصدر، المفهوم، العقيدة) ، مقارنة من حيث الجانب العملي (ارتباط المحبة بالعمل، التطبيق العملي

للمحبة في الحياة) وأوجه الإختلاف وأوجه التشابه ، أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج لكليهما وانتهجت في كل هذا

المنهج التحليلي والمنهج المقارن حسب ما اقتضته طبيعة الموضوع من وصف لظواهر الحب الإلهي من خلال النصوص المذكورة في الكتب المقدسة والنصوص المسيحية والنصوص الصوفية المتعددة وتحليل لها.

وقد إعتزنتني صعوبات لما تعترض أي باحث ناشئ متمثلة في قلة الدراسات الدالة وصعوبة النصوص وضيق الوقت رغم توفير المدونة.

ومن المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في إنجاز البحث أذكر ما يلي:

(الخلاصة اللاهوتية، الفتوحات المكية، رسائل ابن عربي، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي...)

فإن أصبت فمن الله وحده وإن جانبت الصواب فمن نفسي ومن الشيطان والله وراء القصد.

# الفصل الثاني:

## الخطبة الإلهية عند القديس نوما الأكويني

- البحث الأول: تعريف الخطبة الإلهية عند نوما الأكويني

- البحث الثاني: العقل عند نوما الأكويني

- البحث الثالث: أولية وجود الله

لم يكن على فلاسفة العصر الوسيط إلا أن يتجهوا نحو فلاسفة اليونان لكي يصلوا إلى فكرة العقل الذي يعرف أن له موضوعا طبيعيا ولا يعرف شيئا آخر أما لكي يصلوا إلى فكرة الحب\* الذي يعرف أن له موضوعا طبيعيا لكن لا يدرك شيئا آخر ، فإن فلاسفة العصر الوسيط لم يكن عليهم إلا أن يتجهوا نحو أنفسهم ، وهم يشبهون المفكرين في كافة العصور.

كان الإنسان في الفكر المسيحي يعتبر حلقة وصل بين العالمين المادي والروحي وهذا ما أحاط بإشكالية التي تقوم على فكرة الثواب والعقاب في الآخرة ، ولقد ظهر تعليق عن الحب الذي تناوله القديس بولس الذي قال هو الواحد إنه حب الجمال المطلق الذي هو الله فالله عنده الجمال المطلق والخير المطلق وهذه فكرة أفلاطونية أفلوطينية في نهاية الأمر نجد نظرية الاتحاد عند أفلوطين فالصعود من الطبيعة (المادة) إلى النفس ، ومن النفس إلى العقل من طبيعته أو من شأنه أن يولد ألفة أو محبة بين الواحد (الله) الذي يعلم وبين موضوع المعرفة أي العقل والموضوع هما نفس الشيء لأن العقل في حد ذاته الذي هو وحده تفكير هو نفسه يفكر في حين هناك أشياء لا نستطيع التفكير فيها ويعجز العقل على اقتنائها واستيعابها يقول أفلوطين: "إننا في بحثنا عن الواحد الذي هو الوحدة المطلقة لكل شيء علينا أن نسمو على ثنائية المبدأ العقلي ، إن العقل هو الحقيقة الفعلية التي تتضمن كل شيء<sup>1</sup> ، ولذلك فإنه لا نستطيع أن نقول الجزء ولا الكل لأنه يمتد وراء العقل والوجود وبذلك لا نستطيع إدراكه ، ولأنه لا يمكن أن تعطيه اسما لأنه بذلك يعلو الأشياء كلها والاسم المعطى له لا يحمل أي إسناد أو ثبات له وأن نعطيه اسم الواحد الأسمى فلقائنا به أمر يفوق الوصف بل يكون له اسم اللامحدود.

وأشار أفلوطين إلى مفهوم الحب الإلهي: في التساعية الثالثة وتناول فيها بالشيء والتحليل عن طريق مآدبة أفلاطون أو أسطورة وميلاد أيروس ، وحاول التوفيق بين جدل الحب الصاعد وجدل الحب الهابط عن طريق فكرة السلم الإلهي الذي يسمح بالصعود والهبوط معا<sup>2</sup> . أي ما هو علوي يهتم بما هو دنيوي أو أرضي ويعمل في نفس الوقت على تزيينه وأن يكونا مسلمان فيما بينهما.

إن بحثنا عن الله هو محبة الله الكامنة داخلنا لكن محبة الله الكاملة بداخلنا ليست إلا مشاركتنا المتناهية في الحب اللامتناهي الذي بواسطته يحب الله نفسه بنفسه وما دمنا قد ولدنا في تيار الحب الإلهي الذي يغمرنا ثم يعود مرة أخرى إلى

\* الحب : في اللغة هو اسم لصفاء المودة ، لأن العرب تقول الصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الإنسان، وقبل الحب ما يعلو الماء عند المطر الشديد. فعلى هذا المحبة هي غليان القلب وثورانه عند العطش والاحتياج إلى لقاء المحبوب. ينظر إلى معنى زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية (المجلد الأول)، مكتبة مؤمن قريش ، ط1، 1986، ص350.

<sup>1</sup> ماهر عبد القادر محمد و حربي عباس عطيتو : دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، (د.ط.)، 2000، ص242.

<sup>2</sup> نفسه ، ص134.

منبعه<sup>1</sup> ، معناه أن تحب الله هو أن تمتلكه وهذا ما نراه في نظر القديس أوغسطين ، ومن بين الآيات التي تبعث اطمئنان المسيحي في الكتاب المقدس نذكر منها:

"" وان سرت في واد ظلال الموت لا أخاف شرا لأنك أنت معي "" 4:23 "" وان قامت على حرب ففي ذلك أنا مطمأن "" (رمز 3:27) "" وإن انقلبت الجبال إلى قلب البحار "2:46" وهكذا كان السلام الداخلي هو ثمرة من ثمار الرب يسوع المسيح الذي وعدنا قائلاً " سأراكم أيضا فتنزع قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم (أي سلامكم منكم) "" (يو 22:16)<sup>2</sup> ، هذا دلالة على أن الرب يحرصهم ولا يخافوا شر شيء في البر والجبال والبحور وأن ملاقيهم بفرح يوم يراهم ، لأن الإنسان الذي يشعر بكل شيء هو إنسان حساس بكل شيء ويتفاعل مع مشاكل الحياة صغيرة وكبيرة ولكنه هو يعيش دائما حالة الاضطراب التي يعيشها في المشكلة الأكبر وهي القوة التي تحرسه ويحيط به وعندئذ لما يراه لا يضطرب قط.

إن السلام الداخلي نابع من رؤية الرب الذي يطمئن قلوبنا قائلاً " تشجعوا. أنا هو لا تخافوا " (مت 27:14)<sup>3</sup> وهنا تتجلى محبة الله لهم فهو يشجعهم أي لا يستسلموا ولا ييأسوا ولا تخافوا وقوله "أنا هو" أي أنه سيقهر القلق والضجر والكآبة والحزن سيشفاهم نفسيا " لا تخافوا " أي من مشاكل التحارب بين الناس ومن المرض لأنه قال "أنا هو" وهذا على أنه يستطيع فعل كل شيء ويعتبر إله السلام ورئيس وصانع السلام.

ويعتبرون أن الأبدية هي سر السعادة فقد يعد رحيلهم فهم يحيون في فرحة الملكوت وسلامه ونحن هنا نستعد للملكوت والأبدية هي الفرح والسلام من خلال غفران الخطيئة.

قال أوغسطين: أحبك يا رب بضمير ثابت لا لوم عليه لقد فتحت قلبي بكلمتك فأحبيتك، ها أنا كل ما حولي السموات والأرض وكل ما فيها يدعوني إلى محبتك ولا تفتأ تقوله لكل الناس لئلا يكون لهم عذرا ستزداد رأفتك لمن رأفت عليه ورحمتك لمن رحمته وإلا فالسموات والأرض تردد تسايحك أمام جماعة من الصم<sup>4</sup> ، هذا القول يحيي فيه القديس أوغسطين الضمير الإنساني وأن يجب الإله لعظمته رأفته ورحمته بعباده وأنه لعظم كونه حتى السماء والأرض والطبيعة تسبح له ، حيث أنه يشعر بجسده انه هو من صنع الرب حتى انه يستطيع التحكم في سمعي وبصري وفي جميع حواسي فلا حبا يعلو هذا الحب وبهذا الحب تترفع نفسي وجسدي إليه وحبه .

رغم شكه في وجود الله إلا أنه يعطينا مثال يثبت وجود الله لقوله: " تنظر إلى الأرض وما فيها من قوة وجمال وكأنك تسألها ولما كان من الممتع أن تكون حاصلة عن هذه القوة بذاتها فإنك تدرك حالا أنه لم يمكن أن توجد بقوتها

<sup>1</sup> إتين هنري جلزون: روح الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، 6، ط3، 1996، ص 342.

<sup>2</sup> القمص أشعيا ميخائيل: السلام الداخلي، ندوة شبابية 11، (د.ط.)، (د.ت) ص 3 .

<sup>3</sup> نفسه ، ص 4.

<sup>4</sup> الخوني يحونا أنجلو: اعترافات القديس أوغسطين ، دار المشرق ، بيروت، 4 ، 1991 ، ص 197.

الذاتية " وقوله: " إن العالم بنفسه يتغير بتغير المنظم تنظيما عجيبا وبأشكاله البديعية ، يعلن في صمت أنه مصنوع " وهذا يتجلى في قوله أيضا " السماء والأرض يعلنان أنهما مخلوقتان أنهما تتغيران ويستحيل أن يكون في غير المخلوق شيء إلا وقد كان فيه سابقا"<sup>1</sup>. يعني بهذا أن المخلوق متغير والخالق ثابت وأنها قوة عظيمة تستحق أن تعرف وتحب وراء هذه الذات الإلهية والعالم الذي هو يسير في تنظيم ونظام هائل كونية الخلق.

الحب عند الصوفية: المحبة هي الموافقة وليس للحبيب في العالم كله سواه إتباع أمر المحبوب وحين يكون المراد واحد فمن أين تأتي المخالفة؟.

حال المتصوفون المسلمون في استعمال (كلمة صفاء) عندما كانوا يذكرون شيئا عن التصوف وعن السمات المثالية للصوفية: "من صفاه الحب فهو صاف ومن صافاه الحبيب فهو صوفي"<sup>2</sup>. أي من أحب الله حبا تاما ولم يفكر في أحد غيره فقد نستطيع أن نقول عنه بأنه الصوفي الحقيقي عندما نتكلم عن الحب الموجود بين الإنسان وربه فنقول أن الإنسان يخاف من المجهول ويخشاه فلا يمكن أن يحب ما يجهره ، ولهذا فإنه يخاف الله سبحانه وتعالى ويخشاه طالما هو مجهول بالنسبة إليه لذا وجب على كل إنسان أن يحاول التعرف عليه لإزالة خوفه والتسيير في معرفة الرابطة الحقيقية التي تصل به .

لا يمكن أن يكون الحب بين اثنين إلا إذا كانت بينهما مناسبة... وإن معرفة الإنسان الكامل لربه معرفة حب وفناء فيه ، فقد أعطانا الله مثلا على ذلك في المحبة والعشق حيث يفنى كل جزء في مقابلة الجزء المناسب له فعند مقابلة الإنسان لشيء يعشقه كدرهم أو زهرة يفنى منه ذلك الجزء المناسب له ، وإذا عشق شخصا أو إنسانا مثله فإنه يقابله بذاته كلها وبجميع أجزائه ويفنى فيه عند مشاهدته لأنه على صورته فيقابله بذاته فما بقي منه جزء ليصحو حتى يعقل ما فيه<sup>3</sup> ، ولهذا فإذا كان الحب ليس حقيقيا كاملا فإن كل جزء يفنى في جزء من العالم على غير الحب الحقيقي الذي يكون كاملا وان تفنى وتحشع النفس المؤمنة بكل جوارحها لله وفقط ، ويوضح لنا أكثر مفهوم ابن عربي للحب الإلهي: بمعنى الفناء ويقصد بالفناء انطباق صورة على صورة أخرى فيكونا الصورة طبق الأصل متشابهان فيصيرا شيئا واحدا لا فرق بينهما وهنا يشعر العبد بالحب الإلهي فالحب بين اثنين يكونا في الصفات الروحية لا المادية وانطلاق من الحب الحقيقي بين البشر هو البداية للتعرف إلى الله سبحانه وتعالى والشعور بمحبته وبفيض عطائه وكرمه ويجب أن يكون اختلافا بين اثنين إلا لصارا شيء واحد ، وان الإنسان بقدر ما يقترب من صفات الكامل بقدر ما يقترب من صفات الله ومعرفة بالله ويزداد حبا له ، ومهما جاهد ليصل فإنه سيقى دائما الاختلاف، أن الأول رب والآخر عبد(إنسان) ، إن التواصل بين الإنسان وربه "الحق" سبحانه يكون مباشرا والطمع في العبادة التي أشار إليها جبريل من هنا يمكن فهم أقوال شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية التي ترى أن مبنى العبادة الخوف من العتاب والطمع في الثواب سلوكا يماثل سلوك عبد السوء الذي إذا أخاف أطاع وإذا آمن

<sup>1</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط.)، 2012. ص33.

<sup>2</sup> فوزي محمد أبو زيد: الصوفية في القرآن والسنة، دار نوبار للطباعة ، ط2، 2008، ص22.

<sup>3</sup> ميسون مسلاتي : قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي ، ط1، 1997، ص12.



الحق بالحق زمانا لا نفس لي ولا لسان ولا أذن ولا علم حتى أن الله أنشا لي علما من علمه ولسانا من لطفه وعينا من نوره<sup>1</sup> هذا هو الحب الإلهي عند أبو زيد البسطامي أن تحب الله كأنك تراه وهذا هو عظمة الحب.

الحب الإلهي عند الجنيد الخزاز: النقطة الأساسية للحب الإلهي عنده هي التوحيد لوحدة الوجود الإلهي بواسطة حجم عقلية كما يفعل ذلك لاهتياوا الكلام وحسب ، وإنما العيش لوحدة الله المتعالية نفسها على أن تكون على خصيصة روحانية صادقة ويعطي خير دليل للإمام السادس جعفر على أنه كان يتمعن في النص القرآني حتى يسمعه مثلما كان يسمعه محمد ﷺ. (أي مثلما سمعه محمد لجبريل)<sup>2</sup> ، عظمة الحب الإلهي أن تحب الله بشدة وتعبدته وكأنك تراه وذلك أن تعيش لوحدة الله المتعالية بكل روح صادقة.

نستطيع أن نقول أن الحب مقام إلهي وذلك لوصف الله سبحانه وتعالى به نفسه وأنه يسمى بالودود في الخبر بالحب ، وقد وردت كلمة المحبة في مواضع كثيرة في القرآن والسنة على اختلافها لمعاني كثيرة في حق الله وفي حق المخلوقين ففي القرآن الكريم نذكر على سبيل المثال لقوله تعالى لنبيه "ص" قال تعالى: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله" وقال أيضا: "يأيتها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"<sup>3</sup> ، فهو ذكر أصناف يحبهم: التوابين والمتطهرين ، المتوكلين عليه ، الصابرين ، المتصدقين ، والمحسنين ويحب الشاكرين ، والذين يقاتلون في سبيل الله جعل المؤمنين كالبنين المرصوص أي أنهم "وحدة" فإن تفرقوا أو اجتمعوا على بغض وضالة هدم البنين.

حيث أنه نهي عن القوم الذي ينشأ عن صفات لا يحبها ، نذكر منهم على سبيل المثال: الفساد ، الفخورين الظالمين ، المسرفين ، الكافرين ، الجهر بالسوء، المعتدين ، وحب إليه أشياء ومنها المتزينة ومنها المطلقة: الإيمان زينة في قلوبنا وحب الشهوات ، وجعل بين الزوجين مودة ورحمة.

علامة حب الله طاعة الله... فإذا أحب الله العبد أحبه ولا يستطيع العبد أن يحب الله ، حتى يكون الإبتداء من الله بالحب له ، وذلك حين عرف الاجتهاد في مرضاته<sup>4</sup> ، فعندما ندرس الآيات القرآنية ونتمتع بها نجد أن محبة الله واسعة لعباده أي أن نحاول وأن نجتهد ونعمل على التقرب إلى الله بالكلمات الرائعة والعبادات المتنوعة التي تشهد على معايشة الحب الإلهي ولذلك يمكن تعريف الحب الإلهي\* ، أي أن سعادة الإنسان لا يمكن أن يحققها إلا عن طريق التقرب من الله

<sup>1</sup> هانري كوربان وآخرون: تاريخ الفلسفة الإسلامية، بيروت، لبنان، ط2، 1998 ، ص290.

<sup>2</sup> نفسه ، ص292.

<sup>3</sup> محي الدين ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية ، تر: محمود محمود الغراب ، دمشق، ط2، 1992، ص11.

<sup>4</sup> تور أندريه: التصوف الإسلامي، تر: عدنان عباس علي ، منشورات الجمل ، ألمانيا ، ط1، 2003، ص211.

\* بهجة وليدة كمال معرفة الله، يشعر بها العارفون من المتصوفة، وسباها أن تطهر من كل ما يشغلك عن الله وأن تما قلبك به وكلما كان الحب أقوى كانت السعادة أعظم . ينظر إلى إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، القاهرة (د.ط.)، 1983، ص66.

والتفرغ له من جميع الانشغالات ، ومن بين علامات الحب الصادق نذكر منها ما تجلّى في القرآن الكريم والتي تجعلنا نتقرب من الله سبحانه وتعالى:

1. حسن الإتياع: لقوله: "وإن كنتم تحبون الله فاتبعوني" آل عمران: 21<sup>1</sup> ، أي نتبع ما شرع به رسول الله وما جاء به من عند المولى في هديه وسمته وأخلاقه ومعاملاته ، لا نتبعه في العبادات فقط.

2. التسليم لشرع الله: قوله تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمون فيها شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما" النساء. 2<sup>2</sup> ، أن يكون راضي في صدره وقلبه بما جاء به الرسول ﷺ على كل أوامره ولا يجد اعتراضا في فؤاده ولا تنازعا في عقله بل يسلم بكل ما جاء في شرع الله ولا يسمح لعقله بالحكم في شريعة الله لأن الشريعة تفوق العقل لقوله: "وما آتاكم به الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوه" ، ومن هذا فإن الحب الصادق هو حب أول آخر النبيين حب محمد صلى الله عليه وسلم والتسليم الكامل بما أمر به ونهى عنه.

أما عن أهل السنة فكانت بداية انطلاقتهم من قول النبي محمد ﷺ: "اللهم أرزقني حبا أحب إلي من الماء البارد"<sup>3</sup> ، وبهذا نستطيع أن نقول الحب عنده بمعنى الطاعة وبذلك أصبحت طاعة المحبوب شرطا أساسيا في العلاقة الإلهية بين العبد وربّه وأصبح الحب شرطا من شروط الإيمان بالله ، وهو نزعة إلهية روحية مجسدة في صدر وقلب المؤمن وبهذا الحب نتقرب إلى الله ، وقوله ﷺ: عن الله كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني<sup>4</sup> ، أي أنه ما خلقنا إلا له فعملنا لنا لا له وعبادتنا له لا لنا ، وليست العبادة نفس العمل.

وقال رسول الله ﷺ: "إن الله يقول: ما تقرب المتقربون بأحب إلي من أداء ما افترضته عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به"<sup>5</sup> ، أي أن حب الله سبحانه لعباده جزاء لهم بالحسن حتى انه قال يصبح سمعه وبصره وهذا دليل على عظمة وحب الله لعباده ، أي أن الله أعطى قيمة للحب وأن الله يحب كل مفتن تواب أي أن مركز التوبة الحب وإن نحب الله لعطاءه من نعم في حين أن الله جميل يحب الجمال وذلك مما نراه في خلق كونه وإن الله يحب أن يمدح.

وقال ﷺ: "إذا أحب الله عز وجل العبد قال لجبريل: يا جبريل إني أحب فلانا فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في أهل السماء إن الله تعالى قد أحب فلانا فأحيوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له القبول في الأرض" أخرجه مسلم والترمذي<sup>6</sup>

<sup>1</sup> فوزي محمد أبو زيد: الصوفية في القرآن والسنة ، ص 206.

<sup>2</sup> نفسه ، ص 2008.

<sup>3</sup> آنا ماري شميل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، ص 150.

<sup>4</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية ، ص 12.

<sup>5</sup> نفسه ، ص 11

<sup>6</sup> نفسه ، ص 27

فالحب الإلهي هو حب الله للعبد وحب العبد لربه ، أي أنه يشهد العبد أنه كمظهر للحق لأن الله سبحانه لا يضيع أجر من أحبه.

إذا نظرنا إلى أقسام الحب فنجد : حب طبيعي ينفصل عن عالم الملك وحب روحاني ينفصل عن عالم الملكوت وحب حقيقي لا ينفصل عن عالم الملك والملكوت ولا في عالم الجبروت ومنه يتضح لنا التساؤل التالي : ما هو تعريف الحب الإلهي عند ابن عربي؟ وما هي مراتبه وغاية كل حب؟.

### المبحث الأول: تعريف الحب الإلهي \* عند ابن عربي \*\*:

إختلف الفلاسفة والمفكرين والباحثين على إيجاد تعريف واحد للحب الإلهي حيث قيل:

قال بعضهم: الحب لا يصح ، ومنهم من قال: ما تم إلا حب، ومنهم من قال الحب نعت لا صفة ، ومنهم من قال: الحب سر إلهي يعطى في كل ذات ولولا الحب ما ظهر فمن الحب ما ظهر وبالحب ظهر والحب سار فيه والحب ينقله، ومنهم من قال: لا يصح نكران الحب والحب حرك المحرك وبالحب تحرك المتحرك وسكن الساكن وبالحب تكلم المتكلم وصمت الصامت ، ومنهم من قال : الحب سلطان يتبعه كل شيء<sup>1</sup> ، فالحب مستند إلى حقيقة إلهية ، فنسبه إلى الموجود الأول سبحانه وتعالى ولا وجود للحب الإلهي إلا بوجود ذلك الموجود ولما صح للحب أن يظهر ومن هذا نستطيع أن نقول عن الحب أنه ظاهرة كونية، مهما اختلفت مظاهره ومرتبه ومعانيه فهو ذو حقيقة إلهية ، فالحب بطبيعته مستند إلى الله ، الذي هو أصل الوجود وأصل الحب في وجود العالم إلا أن القلوب قست وأصبح المعروف منكرا والمنكر معروف فأصبحت القيم لها معنى ، إلا أن الإنسان بات يبحث عن حقيقة الحب الذي هو سلطان يتبعه كل موجود.

فالحب الإنساني حقيقة عن الحب الإلهي والسبيل إليه ويستند ابن عربي مثل الصوفية عامة إلى قوله تعالى: "يحبهم ويحبونه" منطلقا من الحب الإلهي<sup>2</sup> ، هذا دليل على أن الله أحب الإنسان قبل أن يخلقه فخلق الناس وعرفوه بمعرفته وحبه لهم سبحانه وتعالى وبذلك أصبحت قيمة الحب متبادلة بين الخالق والمخلوق.

\*الحب الإلهي: بهجة وليدة كمال معرفة الله، يشعر بها العارفون من التصوفة، وسيله أن تظهر نفسك من كل ما يشغلك عن الله ينظر إلى: إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، القاهرة، (د.ط)، 1983، ص66.

\*\*ابن عربي: (1165، 1240) أبو بكر محمد بن علي صوفي معروف بمذهبه في وحدة الوجود ويلقب بالشيخ الأكبر، ولد بمرسية ودرس الفقه والحديث بأشبيلية، أهم مؤلفاته: "الفتوحات المكية" و"فصوص الحكم" وفيها يعبر عن مذهبه الصوفي في وحدة الوجود ووحدة الأديان والحقيقة المحمدية، ديوان ترجمان الأشواق تصوير رمزي لأذواقه وأشواقه في الحب ويتركز مذهبه في قوله: "سبحان من خلق الأشياء وهو عينها" فالوجود كله واحد، ووجود المخلوقات عين الوجود الخالق ينظر إلى: علي مولا: الموسوعة العربية المسيرة، شركة أبناء شريف الأنصاري ، بيروت، ط2010، ص40.

<sup>1</sup> ابن عربي ، رسائل ابن عربي، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح، الانتشار العربي ، بيروت، ط2001، ص78.

<sup>2</sup> هالة العوري: الفناء في الإنسان كبار الصوفية ، جميع الحقوق محفوظة، (د.ط) ، 2013. ص101.

قال لا تصلح السجدة لله إلا من قلب ساجده ، فمن لم يسجد قلبه لم تصح له سجدة أصلا،

وقال: إن عبد الله من لا يذوقوا حب الله إلا ببعض ما سوى الله تعالى ، ومنهم من يحب الكون بحب الله سبحانه<sup>1</sup> ، أن يخشع الإنسان بقلبه مؤمن لا يحمل حتى ذرة حقد وبغض لكي يزداد حبا لله ويكون أكثر حبا لله حين يحب كونه الذي هو فيه لأن الله خالق كل شيء ويجب الأشياء الموجودة في الكون تحب الله أكثر لقوله ﷺ: "أحبوا الله لما أسدى إليكم من نعمة"

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي	إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلا كل صورة	فمرعي لغزلان ودير لرهبان
وبيت الأوثان وكعبة طائف	وألواح توراة ومصحف وقرآن
أدين بين الحب إني توجهت	ركائبه فالحب ديني وإيماني

هنا ابن عربي لا يقصد الأديان حتى لو كانت عبادة الأوثان ولكن المقصود بضده<sup>2</sup>، أن الأبيات يشهد القلب على أن الله خالق جميع الكائنات كما أنه عالم بجميع المعتقدات وهذه الأديان لا تخرج عن علم وإرادة الله ولذلك فهو يوصي بحب ما خلق الله وبذلك يحب الله ويجعل من الحب وسيلة من وسائل القرب إلى الله ، ولذلك يقول ابن عربي أن الله ذكر في محكم كتابه تعالى:

"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"<sup>3</sup> ، أي مهما تعددت الأديان فيجب حب الله رغم إختلافها وتنوعها ودين الحق هو دين الإسلام.

تفريغ القلب من كل ما سوى ، الله الأنس به ، فمن الواضح أنه لا يكفي المرید للوصول إلى هذه الغاية ، أن نكتب شهواته ويقمع أهوائه ، دون أن يستأصل جرثومة من الشهوات ، وهي حب الذات والإرادة الخاصة (الهوى) وحب وسيلة لقمع الهوى وهي الطاعة لغير الله<sup>4</sup> ، وهو أن تفرغ قلبك من كل الرغبات والشهوات إبتغاءا وتقربا من الله وذلك بالعبادة رغبة للوصول إلى الله وحبه للتخلص من كل الرغبات والشهوات التي تخدم الغير وتبعد المؤمن عن الله.

<sup>1</sup> عبد القادر أحمد عطا: العبادلة، مكتبة القاهرة ، ط1، 1969، ص133.

<sup>2</sup> إبراهيم إبراهيم محمد ياسين، مدخل إلى التصوف الفلسفي ، كلية الآداب جامعة المنصورة، (د.ط)، 2002، ص60.

<sup>3</sup> نفسه، ص61.

<sup>4</sup> أسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، تر: عبد الرحمن بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1965، ص140.

كل محب مشتاق ولو كان موصولاً والحق يحبك ، وقال: كم يدعوك الحق إليه وأنت تفر منه وهو قادر على رذك إليه فإنك منه لا منك ، وقال إذا دعا الإسرار من حضرة\*، الأمر أدبرت لأن سر العز سار فيها وإذا دعاها من حضرة اللطف أقبلت معرفة بالفقر والعجز إلى الأسرار المحبين العارفين فإنهم يقبلون من دعاهم ومن أي حضرة ناداهم وأخبر ذاتك عند النداء بحج على الصلاة فهم نداء حاجب الباب وقال: الأسماء الإلهية حقائق ويظهر ظهور سلطانها فالأحوال تنقلب منك بتنوع الأسماء والأسماء تطلبك لا أنا<sup>1</sup>، أن المحب مشتاق إلى الوصول إلى الله وذلك من خلال دعائه إليه ولا يمكن للمحب أن يفر منه لأن الذات الإلهية قادرة على رده إليه وذلك من خلال الإسرار على الحضرة التي منها يستطيع الإنسان رؤية سلطان الحب فمهما تغيرت الأحوال إلا أن الأسماء الإلهية تطلب المحب إليه.

أنا نعمة منك وأنا قدر من قدرك وأسرح في قدرك لأزداد على سابقة علمك ، ولا أنتقض من عزيمة أمرك فلا يزلني على مقام أقمته فيك غيرك.... ولم يكن لي حول فأنعطل عن معصيتك إلا في وقت أيقظني فيه لمحبتك<sup>2</sup> ، فكرة القدر كانت غير مدركة للذات الانسانية ، وكان متحرراً وهذا ما جعله في غاية الفاعلية والشجاعة على الإخلاص والصراحة ، وشعر بحب الله تجلياً لما هو فيه من نعم ومقام.

فالحب مقام إلهي ، وصف الحق تعالى به نفسه ، وتسمى بالودود ، وفي الخبر بالمحب فما أوحى الله تعالى به إلى موسى في التوراة "يا ابن آدم إني خلقت الأشياء من أجلك ، وخلقتك من أجلي، فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك ، يا ابن آدم إني وحتي لك محب فبحقي عليك كن لي محباً"<sup>3</sup> ، فمن مقامات الله الحب الذي وصف به لأنه محب لعباده وسمي بالودود في السنة فحب الله لعباده مبرهن من خلق الأشياء له وخلق العبادة من أجله ولذلك وحب وحق على بني آدم حب الله لأن الله أحبه فخلقه.

قال رسول الله ﷺ: "أوتروا يا أهل القرآن" أمرك الله تعالى به في القرآن فقال قل: "إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله"<sup>4</sup> ، يوصي الرسول عليه الصلاة والسلام من أراد أن يحب الله فيتبعه، وإن جزاء حب الله هو الحب من طرف الله فإن تذللت وافتقدت وخشعت وخضعت وسجدت وركعت فإن الله يجازيك بنعمته من كرم ولطف ورأفة وتجاوز وعفو وصفح ومغفرة وغير ذلك، فإذا أحببته احبك.

\*حضرة: ظهور الحق في مظاهر وذلك عبارة عن تجليه فيما حوله من الحقائق الإلهية والمعاني الخلقية ينظر إلى: رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص 289.

<sup>1</sup> ابن عربي : رسائل ابن عربي، ص 207.

<sup>2</sup> تور أندريه: التصوف الإسلامي ، ص 210.

<sup>3</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية ، ص 11.

<sup>4</sup> ابن عربي: الوصايا ، دار الإيمان، بيروت، ط 2، 1988، ص 47.

يقول ابن عربي: "والله إني لأجد من الحب ما لو وضع في ظني على السماء لأنفطرت وعلى النجوم لأنكدت وعلى الجبال لسيرت"<sup>1</sup>، حب الله في نظام الكون الذي يسيره للإنسان في السماء والنجوم والجبال نجد حب في للموجودات كلها.

قال ابن عربي: ولقد بلغ بي قوة الخيال أن كل حي يجسد لي محبوبي من خارج لعيني، كما كان يتجسد جبريل لرسول الله ﷺ فلا أقدر أنظر إليه ويخاطبني وأصغي إليه وأفهم عنه، ولقد تركني أياماً لا أسيغ طعاماً، كلما تقدمت إلى المائدة يقف على حرفها وينظر إلي ويقول لي بلسان اسمعه بأذني: "أأكل وأنت تشاهدني" فأمتنع من الطعام ولا أجد جوعاً وامتلئ منه، حتى سمنت وثملت من نظري إليه فقام من مقام الغداء<sup>2</sup>، في نظر ابن عربي أن الله هو الموجود ولا موجود على حقيقة سواه وما غيره تعالى فهو الوجود الحق، والوجود المطلق وأنه لا يمكن مشاهدة هذا الوجود إلا من شدة حبه له التي بلغت به قوة الخيال وأصبح يرى الله أمامه فربط ابن عربي بين الفناء والاتحاد الصوفي بمفهوم الحب الإلهي الذي يعتبر أساس الاتحاد الصوفي والسبيل إلى معرفة الله، فأمثاله من الأولياء يعتبرون أنه لا جلوس إلا مع الله ولا حديث إلا مع الله.

إلهي ذنبي إلى نفسي فأنا معناه، وحي لك هو لك فأنت معناه<sup>3</sup>، بمعنى الذنب يجعلني مكرهاً والحب يجعلني طائعاً وأنت محب لي وأنا محب لك.

قال رسول الله ﷺ: كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني<sup>4</sup>، يؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام أن حقيقة وأصل وجود العالم هو الحب والحب وجد في الله قبل وجود العالم.

فالحب الإلهي هو عين الحب الإنساني من خلال معرفة الوحدة الكاملة في الأشياء، حيث يكون العبد مظهراً للحق والحق مظهراً للعبد<sup>5</sup>، فحبنا للأشياء تتجلى من خلال معرفتنا لحب الله لنا مما أعطانا من نعم ورزق وعطاء في هذا الوجود الكامل، فالحب والمعرفة لدى ابن عربي متناسقان في نظام واحد وكل منهما يكون مظهراً للآخر.

الحب يؤدي إلى دين عالمي لا يقف عند الحدود<sup>6</sup>، بالحب يلتقي الناس عند عبادة الواحد حتى وإن تفرقت واختلقت الأديان.

<sup>1</sup> هالة العوري: الفناء في الإنسان كبار الصوفية، ص101.

<sup>2</sup> أسين بلاثيون: ابن عربي حياته ومذهبه، ص163.

<sup>3</sup> تور أندرية: التصوف الإسلامي، ص210.

<sup>4</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، ص12.

<sup>5</sup> نظلة أحمد الجبوري: سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، الفكر الجديد، دار المدى، ط1، 2016، ص152.

<sup>6</sup> نفسه، ص165.

يقول ابن عربي: ما أحب أحد غير خالقه ، لكنه إحتجب عنه تعالى بحب زينب وسعاد والدينا والدرهم والجاه وكل محبوب في العالم<sup>1</sup> ، لو أحب الإنسان لغير الواحد فقط لما إحتجب الله عنا ولكانت صورة الله ظاهرة العيان.

هو إفراط المحبة ، وهو معنى من المحبوب يقع به العشق ، وهو الذي يوقد نار الشوق والوجد الذي في القلب وهو لا يكون إلا لتحلي الاسم الجميل وكني عنه في القرآن بشدة الحب قوله تعالى: "الذين آمنوا أشد حبا لله"<sup>2</sup> ، هناك نسبة الحب غير معروفة ولا يعرفها إلا الحق ولا يعرف هذا الحب نوعا من الإشتراك والتقسيم إلا أنه يتشوق ويحترق الإنسان إلى رؤية هذا المحبوب ولو بطرفة عين وأن هذا الحب يكون شديد كما ذكر آنفا في قوله تعالى أشد حبا أي نسبة الحب يعلمها إلا الله.

الحب هو خلوص الهوى إلى القلب وصفاءه عن كدرت العوارض، فلا عرضه لمحبه ولا إرادة مع محبوبه، فإذا خلص الهوى في تعلقه بسبيل الله دون سائر السبل ، وتخلص له وصفا من كدورات الشركاء ، وفي السبل سمي حبا لصفاته وخلوصه<sup>3</sup> ، تخلص قلب الحب من كل مظاهر الكبرياء والجبروت والعوارض التي تفصل بين المحب والمحبوب لأنها تقطع الصلة بين الخالق والمخلوق وصفاء القلب حق من حقوق المؤمن اتجاه محبوبه.

الهوى وهو عندنا عبارة عن سقوط الحب في القلب في أول نشأة في قلب المحب لا غير، من هوى النجم إذا سقط ، إذ لم يشاركه أمر وخلص المحب من إرادته ، فهو مع إرادة محبوبه وصف الهوى سمي حبا ، فإذا ثبت سمي وداً ، فإذا عانق القلب والأحشاء والخواطر ولم يبقى فيه شيء إلا تعلق القلب به سمي عشقا<sup>4</sup> ، وبهذا فالحب الإلهي له عدة ألقاب وتعددت أسماءه هوى ثم ود ثم عشق وتعلق الإنسان بقلب وكل جوارحه حبا لله وحده بذاتيه بالهوى والتحجب إليه والود والتقرب منه والعشق وهو أن تحبه وكأنك تراه.

فإذا أحب الله العبد أحبه ، ولا يستطيع العبد أن يحب الله حتى يكون الابتداء من الله بالحب له وذلك حين عرف منه الاجتهاد في مرضاته<sup>5</sup> ، إن الله يجازي الإنسان على كل إجتهاد ومحبة يقدمها لمرضاة الله وبذلك يجازيه الله وينجيح من العقاب.

فالود ثبات الحب والعشق أو الهوى<sup>1</sup> ، أي أن أي حالة من هذه الأحوال وهذه الصفات ، فإذا ثبتت في المحب لمحوبه ولم يغيره شيء فتحكم عليه بها ولا يمكن أن نزيلها عنه.

<sup>1</sup> هالة العوري: الفناء في الإنسان كبار الصوفية، ص 101.

<sup>2</sup> محي الدين ابن عربي، لوازم الحب الإلهي ، تحقيق وتعليق موفق فوزي الجبر، دار معد والنمير للطباعة، بنان قسطنطين ، ط1، 1998، ص 61.

<sup>3</sup> ابن عربي: لوازم الحب الإلهي، ص 41.

<sup>4</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، ص 77.

<sup>5</sup> تور أندرية: التصوف الإسلامي، ص 211.

قال تعالى: "سيجعل لهم الرحمن وداً"<sup>2</sup> ، من حب الله ورحمته لعباده يثبت في قلوبهم الود ولذلك سمي الله بالودود.

فالحب عنده أساس العبادة ولولاه ما عبد شيء لأن العبودية تقديس والتقديس سبيله الحب<sup>3</sup> ، فميزة العبادة هي الحب عند الإنسان ولا يستطيع أن يعبد ويقدس شيء إلا عن طريق الحب وبذلك يظهر نفسه وقلبه من كل الكبرياء والجبروت.

الحب في منظوره تقديس ، لذا أساس العبادة وخلاصة النقل جميعا ولولاه لما عبد شيء وأما المحبوب الحق فهو الإله المتجلي في صور جميع المعبودات<sup>4</sup> ، الله هو الواحد ويجب حبه وتقديسه حتى وإن تعددت مجالاته وصوره.

فالحب الإلهي سبب ظهور الحق في أعيان الموجودات<sup>5</sup> ، فحب الله هو مصدر ظهور المخلوقات ومخلوقاته دائمة الفناء فيه حبا له ، فأولها حب وإفتراق وآخرها حب وتلاق فالكمل يخرج منه (الله) والكمل يعود إليه.

الحب لا يرى محبوبه إلا أجمل في نظره فما أحب إلا ما هو جميل ، أما الإحسان فإن العباد يحبون إحسان الله ولا محسن إلا الله ، فإذا أحببت إلا الله<sup>6</sup> ، فإذا نظرنا إلى محبوبنا أنه جميل سوف نحسن له ونحبه ولا يمكن أن نحسن ونحب إلا الله.

الحب في تصور ابن عربي : تلك الصلة الوثيقية بين الحب والجمال ، لأن الحب سببه الجمال فالحب علة وجود العالم والجمال هو الصورة التي ظهر عليها العالم بعد أن كان ثابت في العدم<sup>7</sup> ، فصورة العالم هي عين جمال الله فهو الموصول بالجمال والجمال محبوب لذاته والله جميل يجب الجمال وخلقه للعالم مما فيه من إحكام وإتقان الموجودين في الموجودات كلها.

في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله جميل يحب الجمال"<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> ابن عربي: لوازم الحب الإلهي، ص84.

<sup>2</sup> سورة مريم: آية 96.

<sup>3</sup> ابن عربي: الكتاب التذكري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة،(د.ط)، 1969، ص373.

<sup>4</sup> نظلة أحمد الجبوري: سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، ص165.

<sup>5</sup> ابن عربي: الكتاب التذكري، ص373.

<sup>6</sup> ابن عربي: لوازم الحب الإلهي، ص9.

<sup>7</sup> هالة العوري: الفناء في الإنسان كبار الصوفية ، ص103.

<sup>8</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، ص13.

من صفات الله أنه جميل يحب الجمال فأوجد هذا العالم في غاية الجمال خلقا وإبداعا فأحب نفسه وأحب أن يخلق ويرى في غيره كل ما هو جميل فخلق العالم على صورته الجمالية.

فالحب أصل لتجلي صفاته وأسمائه تعالى ، ولما كان الخلق متجددا فإن حب الله كذلك متجددا دوما فإن حب الله كذلك متجدد عبر الأنفاس<sup>1</sup> ، فالحب الإنساني بين الذكر والأنثى له أثر مركزي لدى ابن عربي في دائرة الوجود ، فالرجل وحده عنصر منفصل مثل جميع الموجودات في العالم ، لكنه حين يتوحد بالمرأة يشاهد نفسه من حيث هو فاعل ومنفعل ليصبح الجمال حدثا كونيا شاملا ولاستمرارية الوجود في الحياة وهكذا تصبح المرأة معبدا إلى حب الله فالحب خلق والخلق حب.

لذا يبدأ الصوفي من الرياضة والمجاهدة الروحية وينتهي إلى الفناء المطلق في الله هذا الفناء الذي يؤدي إلى إحتفاء الصوفي وتلاشيته متحدا اتحادا كاملا بالله وهذا هو الإتحاد الروحاني الذي يتأني عن حب الإله ، من جهة نظر التجربة الروحية لا النظر المجرد فالله هو الذات التي تبصر بعين الصوفي ويصبح الصوفي إنسانا مستغرقا في الله ، وهكذا يكون الحب الإلهي الأساسي الذي ينطلق منه الصوفي إلى الإتحاد بالله ويؤدي إلى معرفة الله<sup>2</sup> ، وهو أن يتخلق الصوفي عن كل المألوفات والشهوات والذات ويحملها على خلاف ما تهوى في عموم الأوقات تقريبا من الله وذلك بالقيام بالطاعات والموافقات فالصوفي هو صاحب الوصول إلى الله ويستغرق بمحبة الله وذلك بحضور القلب مع الله تعالى وهكذا يكون الحب الإلهي الأساسي الذي ينطلق منه الصوفي بالإتحاد بالله وهذا الإتحاد إرتباط بين الخالق والمخلوق بحيث يحل الخالق في المخلوق وتتحد ذاتهما وهذا يخالف عقائد الأمة فالله تعالى واحد بالإجماع ، ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء.

<sup>1</sup> هالة العوري: الفناء في الإنسان كبار الصوفية ، ص102.

<sup>2</sup> نظلة أحمد الجبوري: سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة ، ص153.

## المبحث الثاني: مراتب الحب\* عند محي الدين ابن عربي

يقال أن مراتب الحب ثلاث إلهي وروحاني وطبيعي، فالحب الإلهي مما سبق هو حب الله لنا وحبنا لله أيضا يطلق عليه بأنه حب إلهي في حين نجد الحب الروحاني هو الذي بفضل نسهى به إلى مرضاة الله بدون غرض أو إرادة والحب الطبيعي وهو الذي يقوم به الإنسان أو المحبوب على نيل طلب على تحقيق كل أمنياته وأماله وأغراضه سواء سر ذلك المحبوب أو لم يسره وهذا هو الحب المنتشر بين الناس اليوم لذلك يمكن طرح السؤال التالي: ما هو تعريف الحب الطبيعي والحب الروحاني والحب الإلهي؟ وما هي غاية كل حب؟.

### 1/ الحب الطبيعي\*\*:

بدء الحب الطبيعي، فما هو للإنعام والإحسان، فإن الطبع لا يعرف ذلك جملة واحدة وإنما يحب الأشياء لذاته خاصة<sup>1</sup>، وطبيعة الموجودات كلها هي حب الله لذاتها ولمصلحتها فقط.

فإن كل المحبين قابلون للصور الطبيعية، من الوجد والشوق والاشتياق، وحب البقاء ورؤيته والاتصال به وقد وردت أخبار كثيرة صحاح في ذلك، ما يجب الإيمان بها مثل قوله: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"<sup>2</sup>، فالموجودات من المحبين كلهم يريدون الحياة والعيش ويشتاقون لرؤية المحبوب وأن من أحب لقاء الله فإن الله يحب لقاءه وهذا ما شجع المحبين على الإيمان بحب الله.

التجلي الإلهي أزلي وأبدي ومن أهم آثاره معرفة الحق بظهور صفاته وأسمائه في عالم الوجود "كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق فيا فعرفوني" فالموجودات كلها تجليات إلهية وتعبير عن صفات تقديسه، فما وصفناه بوصف إلا كنا ذلك الوصف، وما سميناه شيئا بإسم إلا كان هو المسمى ومن أهم مظاهره هذا التجلي الإنسان خليقة الله في أرضه<sup>3</sup>، فلما عرف الله الحب وأراد أن يعرف الحب فخلق الخلق فعرفوه بواسطة الحب وذلك من خلال الطرفين الأول

\*الحب: في التصوف الأنس بذكر الله وطاعته، والنظر إلى عظمته وجلاله ثم الانتماء إلى الفناء في المحبوب والمحبوب الأول من الخلق محمد، وفوقه الخالق "فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه" (المائدة:54) ينظر إلى: علي مولا: الموسوعة العربية الميسرة، ص 1307.

\*\* الحب الطبيعي: وهو حب العوام وغاية الإتحاد في الروح الحيواني فتكون روح كل واحد منهما روحا لصاحبه بطريقة الالتئاذ وإثارة الشهوة ونهايته من الفعل النكاح فإن شهوة الحب تسري في جميع المزاج سريان الماء في الصوفة بل سريان اللون في المتلون ينظر إلى: رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص 275.

<sup>1</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، ص 64.

<sup>2</sup> نفسه، ص 63.

<sup>3</sup> ابن عربي: الكتاب التذكري، ص 371.

الله والثاني الخلق وبث في الإنسان الشوق والاشتياق وحب البقاء وحب اللقاء بالمحجوب وبذلك أعتبر الطرفين الأساسيين لبقاء الحب بينهما بشكل طبيعي متمركز على أرض الواقع وبشكل ظاهره.

إن الإنسان الكامل الذي فيه تتحقق هذه الهوية باستمرار، هو النور الإلهي المتجسد في آدم وبعده في سائر الأنبياء حتى محمد ﷺ وكان آدم أول تجلي موضوعي للطبيعة الإلهية<sup>1</sup> ، وبذلك تجسدت الأرواح في الصور وخلق الإنسان الكامل الذي تحققت فيه سمات الإنسان الكامل وذلك سائر الأنبياء وعلى رأسهم محمد ﷺ وخلق في شكل الواسطة بين العالم السماوي والعالم الأرضي الكوني وبذلك تجلى الحب الطبيعي في صور إنسانية حقيقية كونية مجسدة في حقائق إنسانية.

فمثل هذه المشاعر: الحب ، الشوق ، القلق ، الفرح ، هي أغراض صريحة للحب الطبيعي الذي يتضمن الإشباع في المحب خصوصاً والأمر يتعلق بوجود ، هو الله ، وهو غني لكل الغني، قادر كل القدرة ، لا يحتاج إلى أحد من مخلوقاته<sup>2</sup> ، إن الله غني وقادر لا يحتاج لعباده ومخلوقاته ولذلك يجب على الإنسان المحب أن يشفق ويقلق ويفرح بشأن المحجوب الذي يحتاج إليه تلبية رغباته و أماليه واحتياجاته ، لأن العبد ضعيف والله قوي وقادر.

الحب الطبيعي هو الذي يطلب به نيل جميع أغراضه سواء سر ذلك المحجوب أو لم سره وعلى هذا أكثر حب الناس اليوم<sup>3</sup> ، بهذا الحب يؤكد المحب لمحجوبه جميع أغراضه التي يريدتها في حياته سواء تسر أول تسر المحجوب وعلى هذا الأساس كثر حب الناس للمحب لنيل رغباتهم وأغراضهم.

وإن الإنسان ما دام قد خلق على صورة الله ، فهو مخلوق على وجه الكمال فقد جعل الله الخلافة في الأرض عنه وضح له سر الوجود خلافه ، بعد ما جمع الأسماء الإلهية والكونية كلها وما علمه الحق منها<sup>4</sup> ، وهذا ما دل على حب الله ومشيئته في خلق الإنسان على صورته وكرمه بالأسماء الإلهية والكونية.

وكل جسم عنصري فهو طبيعي ومنها أجسام طبيعية غير عنصرية كما كل جسم طبيعي عنصري والعناصر في الأجسام الطبيعية لا يقال فيها عنصرية ، وكذلك الأفلاك والأماك فالمحجوب هو الاتصال بوجود ما من كثيرين أو قليلين ومع كونه مؤانسة ومجالسة حقيقة المحب فالمحجوب واحد العين متنوع وهو حب الاتصال خاصة ، إما بحديث أو ضم أو تقبيل، هذا تنوعه في واحد أو كثيرين<sup>5</sup> ، أي أن الأجسام العنصرية هي في الواقع الطبيعي مهما تنوعت وتعددت ولها إتصال

<sup>1</sup> أسين بلاتويوس: ابن عربي حياته ومذهبه، ص258.

<sup>2</sup> نفسه، ص242.

<sup>3</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، ص62.

<sup>4</sup> نظلة احمد الجبوري: سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة ، ص175.

<sup>5</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية ، ص64.

بين الحب والمحبوب بما هو موجود ولها أثر بين الحب والمحبوب وغايته أن تكون الصورة المتخيلة للمحب أعظم صورة أي راقية لا يمكن حتى وصفها.

## 2/ الحب الروحاني\*:

وهو أن تصير ذات المحبوب عين ذات المحب وذات المحب عين ذات المحبوب ، الحب الروحاني هو الذي يسعى به في مرضاة المحبوب ، لا يبقى له مع محبوبه غرض ولا إرادة بل هو بحكم ما يراد به خاصة<sup>1</sup> ، فالحب الروحاني يقدم الإنسان كل الحق والتقدير لمرضاته بدون قصد أو عطاء من طرف المحبوب.

فهذا القدر نقول في الموجود إنه محبوب وإن لم يكن إلا فيه لا عينه ، فذلك الموجود إن كان ممن يتصف بالإرادة فيمكن أن يحبه لا لنفسه ، وإن لم يتصف بالإرادة فلا يجب المحب محبوبه إلا لنفسه ، أعني لنفس المحب لا لمحبوبه<sup>2</sup> ، إذا كانت في المحبوب الإرادة فيجب أن يحبه هو لا لنفسه، وإن لم يتصف بالإرادة ولم تكن فيه فيحب المحبوب محبة لنفسه لا غير.

الصوفي يشاهد\* محبوبه بالقرب منه على نحو واضح كأنه يشاهده حقا بعينه ، ويشعر بلذة الوصول بتجربة ألطف وأعذب من الوصال الجسماني ، وملؤه بمضمون ثابت أبدي ، لان هذا الحضور المتخيل لمحبوبه مستمر، لأنه فيما يتعلق بالله ، وهو روح محض<sup>3</sup> ، وهي أن يشاهد كل من المحبوبين عين بعضهما أمامه جسميا وباستمرارية غير أن المحبوب تشاهده خياليا وهذا ما دل على وجود صور خيالية داخل العقل الإنساني إلا أن هذه الصور الخيالية في الواقع ليست حقيقية وهي ثلاث أنواع:

الأول فهو الذي يجد به الحق تعالى بعناية ويهديه إلى طريقه ، ويوصله بقربه ، ويعطيه المقامات الشريفة من غير زحمت وشغل بالرياضة والخلوة ، وأما الثاني فهو الذي يشغل بالمجاهدة\* ويقعد في الخلوة ويتقطع إلى الله تعالى ، فينظر الله

\* الحب الروحاني: وهو حب نفسي غايته التشبه بالمحبوب مع القيام بحق المحبوب ومعرفة قدره. ينظر إلى : رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص 275.

<sup>1</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهي، ص 62.

<sup>2</sup> نفسه ، ص 62.

\* المشاهدة: هي حضور الحق من غير بقاء تهمة وحق مشاهدة ما قاله الجنيد: وجود الحق مع فقدانه ينظر إلى: القيشري أبو القاسم ، الرسالة القيشرية، تحقيق معروف زريق وعلي ع الحميد، دار الجيل ،بيروت، ط2، (د.ت)، ص 75.

<sup>3</sup> أسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه ، ص 252.

\* المجاهدة: الأصل في المجاهدة مخالفة الهوى فيفطم نفسه عن المألوفات والشهوات واللذات ويحملها على خلاف ما تهوى في عموم الأوقات. ينظر إلى: رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص 830.

تعالى إليه بنظرة الرحمة ، ويؤيده باللفظ والنعمة، ويوصله إلى مقامات العالية بمدة قريبة وجاهدة بسيره أما الثالث فهو الذي يسلك يجد المجاهدة والرياضة ، ويطلع على جميع الوقائع والحالات حتى ينتهي بالمجاهدات الشديدة والأربعينات بالمقامات العظيمة<sup>1</sup> ، هذا يؤكد أن الأرواح ثلاث روح تجد بها القوى الإلهية وتعني بها وتهديها وترقيها وتنقيها إلى أشرف المقامات وروح تنظر إليها من باب الشفقة والرحمة لأنها تعمل على المجاهدة وتنقطع عن الله وروح راقية التي تشهد ومطلعة على جميع المجاهدات فترتقي إلى المقامات العظيمة من ذلك الباب الإلهي الواسع.

فعين طريق آدم المبدأ الروحاني تحققت رؤية الله فكانت بالنسبة إلى الإله كالإنسان للعين وعندما تتضح الحقيقة الوجودية وتتحقق في قول ابن عربي "سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها" وهنا يثبت ابن عربي أن نظرية الخلق يستحيل أن تكون من العدم فالفيض الإلهي متصل باللائهائي، الذي هو أصل كل وجود وسبب كل موجود<sup>2</sup>، فبالإنسان تحققت رؤية الله الذي ينسب إلى صورة الله وأن حقيقة الوجود تجلت مما هو عين "الوجود" ويستحيل أن تكون المخلوقات خلقت من عدم بل هناك اللائهائي (الله) أوجد المتناهي (الموجودات) وهو حق عينها فعندئذ يثبت أن الله خلق آدم على صورته وخلق الله العالم على صورة آدم فأرتبط هذا الكل ببعضه مما يؤشر على زمان خلق آدم في الأزل فالله أحب آدم ومن حب آدم خلق العالم كله.

الحب الروحاني خارج عن الحد ، وبعيد عن المقدار والشكل وذلك أن القوى الروحانية لها إلتفات نسبي فمتى عمت النسب في الالتفات بين المحب والمحبوب ، عن نظر أو سماع أو علم، كان ذلك الحب فإن نقص ولم تستوف النسب لم يكن حباً<sup>3</sup> ، يكون الحب الروحاني درجات إما أن تزيد أو تنقص فإن زاد سمي حباً وإن نقص ولم يتطلع فلا يكون حباً رغم أنها تلي له كل حقوق وواجبات المحبوب ويجب على النفس أن تصبوا وترتقي للمحبوب.

### 3/ الحب الإلهي \*

هو بهجة وليدة لكمال معرفة الله وهذه المعرفة تكون بين طرفي المحب والمحبوب ، فالحب عنده أساس العبادة ولولاه ما عبد شيء لأن العبودية تقديس والتقديس سبيله الحب ، والمحبوب الحق هو الذات الإلهية ، التي تتجلى فيها معاني الحب والمحبوب واحد مهما تعددت مجاله ، والجميل واحد مهما تعددت صورته وبالحب الإلهي يتأخر الناس ويلتقون عند عبادة

<sup>1</sup> أسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه ، ص253.

<sup>2</sup> نظلة أحمد الجبوري: سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة ، ص161.

<sup>3</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، ص67.

\* الحب الإلهي: عند ابن عربي: "الحب هو أساس العبادة ولولاه ما عبد شيء لأن العبودية تقديس والتقديس سبيله الحب" ينظر إلى: معنى زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية (المجلد الأول)، ص 351.

واحدة، وإن فرقت بينهم الأديان، فالحب الإلهي سبيل إلى دين عالمي<sup>1</sup>، فالعبادة رمز من رموز الحب الإلهي ولولاه لما ظهر تجلي الحب الإلهي، إلا أن الحب الإلهي هو حب الله لنا وحبنا لله هو حب مطلق ونستطيع أن نطلق عليه أنه حب إلهي والمحبوب يجب أن يكون واحد مهما تعددت صفاته وأنواعه وتصوراته وبهذا يصبح الناس يلتقون ويؤسسون وحدة واحدة متكاملة فيما بينهم ومهما تفرقت وتنوعت الأديان فهم يشتركون في عنصر واحد وهي المحبة الإلهية، إلا أن الحب الإلهي منسوب إلى الله سبحانه وتعالى وهذا الحب ينقسم إلى قسمين قسم يقال فيه حب روحاني والآخر حب طبيعي.

الحب الإلهي هو حب الله لنا، وحبنا لله أيضا قد يطلق عليه أنه إلهي<sup>2</sup>، أي أن الحب المتبادل بين المحب والمحبوب فهما حبان نطلق عليهما بإسم "الحب الإلهي" وهذا الحب الإلهي مزيج بين الحب الطبيعي والحب الروحاني.

فالله في حبه يجمع بين الحب الطبيعي الذي يسعى إلى خيره الخاص، وبين الحب الروحي الذي يسعى إلى خير المحبوب<sup>3</sup>، أي أن الحب الإلهي مزيج بين الحب الطبيعي الذي يتمثل في العالم الأكبر المتمثل في الموجودات والتي تعمل على الدعاء والتوحيد له وهذا ما يلبي خيره الخاص والحب الروحاني هو الحياة الأزلية الأبدية التي تطمح لها النفس لرؤية المحبوب ويعمل الإنسان أو المحبوب بالمجاهدة إلى رؤية الخالق.

فمنا من أحب الله تعالى له، ومنا من تحبه لنفسه، ومنا من يحبه للمجموع، وهو أتم من المحبة، لأنه أتم في المعرفة بالله والشهود، لأن منا من عرفه في الشهود، فأحبه للمجموع ومنا من عرفه لا في الشهود ولكن في الخبر فأحبه له ومنا من عرفه في النعم فأحبه لنفسه ومنا من أحبه للمجموع وذلك أن الشهود لا يكون إلا في الصورة، والصورة مركبة والمحب ذو صورة مركبة، فيسمع من وجه فيحبه للخبر مثل قوله على لسان نبيه ﷺ وهل واليت لي وليا أو عاديته في عدوا<sup>4</sup>، فالإنسان المحب حين مشاهدته للموجودات والعالم عرف من خلاله الله وعظمته فأحب الوجود من خلال حبه للمحبيب "الله" والله يحب من يحبه ويعادي من يعاديه.

الحب الإلهي هو حب الله العبد وحب العبد ربه، كما قال تعالى: "يحبهم ويحبونه" ونهايته من الطرفين أن يشاهد العبد كونه مظهرا للحق، وهو لذلك الحق الظاهر كالروح للجسم باطنه غيب فيه لا يدرك أبدا، ولا يشهده إلا محب، وأن يكون الحق مظهرا للعبد فيتصف بما يتصف به العبد من الحدود والمقادير والأغراض ويشاهد هذا العبد، وحينئذ يكون محبوب

<sup>1</sup> ابن عربي: الكتاب التذكري، 373.

<sup>2</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، ص 62.

<sup>3</sup> نفسه، ص 241.

<sup>4</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، ص 72.

للحق<sup>1</sup> ، عندما تكون المحبة بين المحب والمحجوب فيشاهد المحب نفسه بأنه مظهره للحق لأن الحق له باطن ولا يمكن أن تدركه الذات الانسانية أبداً فالمحجوب مظهر المحب فيتصف المحجوب بما يتصف به المحب وبذلك يكون المحب محبوباً لله بالضرورة.

أدين بدين الحب أني توجهت  
ركائبه، فالحب ديني وإيماني<sup>2</sup>

فالحب يكون بالإيمان أي العبادة والتوحيد بأن تعبد إله واحداً وهو الموجود الحق الكامن وراء الظواهر والأديان غايته الحقيقية وحدة ذاتية هذا على رأي ابن عربي ، فإن أصل كل موجود هو الحب الإلهي والخلق ليس في الواقع غير نتيجة حب الله مزدوج لأنه أحب أن يعرف فتحلى في أنه خارج ذاته ، حتى يمكن المخلوقات أن تعجب بكماله اللامتناهي وجماله<sup>3</sup> أصل الموجودات هو حب الله للواقع الذي أحب أن يعرفه فعرفه من خلال الموجودات وكمال المخلوقات وجمالها من حب الله.

للحب الإلهي بدءاً، فبدءاً النفس الإلهي عن رؤية المحجوب ، فهذا بدء حبه إيانا، وأما حبنا إياه، فبدءاً السماع لا الرؤية ، وهو قوله لنا ونحن في جوهر العلماء (كن) فالعلماء من تنفسه، والصور المعبر عنها بالعالم من كلمة "كن" فلما سمعنا كلامه ونحن ثابتون في جوهر العلماء لم يتمكن أن نتوقف عن الوجود فكنا صوراً في جوهر العلماء ، فأعطينا بظهورنا في العلماء الوجود للعلماء، بعدما كان معقولي الوجود حصل له الوجود العيني فهذا سبب بدء حبنا إياه<sup>4</sup> ، أي أن هناك علاقة أبدية بين الحب الروحي والحب الطبيعي ومنها نتوصل إلى الحب الإلهي ولولاهما لما كان ثم ظاهر إلا ما كان عين الممكن فما أحب الله إلا الله ، وما أحبنا الله إلا من الظاهر ولولا الظاهر لما أحب العبد الله هنا نلمس قوة الحب الإلهي بين العبد وربه.

وغاية الحب الإلهي هي حب جميع الكائنات في كل حضرة بتنوعها معنوية أو حسية أو خيالية أو متخيلة ، فالنور الإلهي وهذا الإسم الجميل يكسو وينتشر في ذلك الوجود وبجمله جميلة يغمرها العشق الإلهي وذلك الحب الإلهي لا نهاية له.

<sup>1</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، ص 71.

<sup>2</sup> نظلة أحمد الجبوري: سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، ص 165.

<sup>3</sup> أسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه، ص 241.

<sup>4</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، ص 74.

### المبحث الثالث: العقل عند محي الدين ابن عربي

يعتبر العقل الأداة التي تميز بين الإنسان والحيوان ذلك أن الإنسان إذا استرسل مع طبعه ولم يستعمل الفكر، ولا التمييز ولا الحياء ولا التحفظ كان الغالب عليه أخلاق البهائم لأن الإنسان إنما يتميز عن البهائم بالفكر والتمييز وهو محور الدراسة يمكن طرح التساؤل التالي: ما مفهوم العقل عند ابن عربي؟.

إن قدرة العقل عند ابن عربي هي الحد الفاصل الذي يمنع من مشاركة الحيوانات للإنسان، ويتجلى في كتاب الله قوله: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"<sup>1</sup>، فالعقل قوة إذا لم يستعملها كان مشاركا للبهائم والشهوات مسؤولة عليه والحياء غائب عنه والغضب يستفزه والشر لا يفارقه<sup>2</sup> أي من نشاط العقل نفهم ونسرد الصح من الخطأ فكلما يزيد النشاط العقلي كلما كان ابتعادنا عن حياة الشر أكبر.

يؤكد ابن عربي في أكثر من موضع في كتبه على ضرورة أن يعرف الإنسان نفسه، لأن هذه المعرفة تفتح للعبد بابا من القرب إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، ما دام الحق ربط معرفته بمعرفتنا<sup>3</sup>.

فيقول الشيخ الأكبر: "بنور العقل تصل إلى معرفة الألوهية وما يجب لها وما يستحيل"<sup>4</sup>، لذا خصص الله تعالى ذكر بخطاب أهل العقول لأنهم هم الذين يعقلون عن الله أمره ونهيته، ويتدبرون آيات وحججه دون غيرهم، أما تأويله للآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه<sup>5</sup>، أي من كان عاقل وبالغ وهنا العقل شرط لأداة الصوم.

لقد فرق ابن عربي بين العقل الفاسد والصحيح فيقول: إن العقل يغلط إذا كان النظر فاسدا، أعني نظر الفكر، فإن النظر ينقسم إلى صحيح وفاسد<sup>6</sup>، وهذا الفرق لا يحدث إلا إذا ابتعد الإنسان ويرتفع عن الحيوانية، أين يستطيع بلوغ الحقائق والمعارف بشكل سليم، لذا قال الشيخ الأكبر: إن الإنسان إذا لم تتحل نفسه... بالعلوم ومكارم الأخلاق... والتنزه

<sup>1</sup> سورة التين: الآية 4.

<sup>2</sup> ابن عربي: تهذيب الأخلاق، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، عالم الفكر، ط1، (د.ت)، ص 13.

<sup>3</sup> عبد الوهاب فرحات: نظرية الإنسان عند محي الدين ابن عربي، إشراف محمد عبد اللاوي، أطروحة دكتوراه دولة في العلوم الإسلامية، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، (د.ط)، 2004، ص 226.

<sup>4</sup> ابن عربي: الفتوحات المكية، ج1، تحقيق عثمان يحيى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1974، ص 203.

<sup>5</sup> سورة البقرة: الآية 185.

<sup>6</sup> ابن عربي: الفتوحات المكية، ج2، ضبطه وصححه شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 395.

عن الشهوات الطبيعية الصارفة عن النظر الصحيح لا سبيل له إلى السعادة الأبدية<sup>1</sup> ، فالأول يكون خفيف العقل رقيق العلم لقوله تعالى: "أنا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون"<sup>2</sup>.

فالعقل مأخوذ من عقال الدابة وهو ما يشد ركبة البعير فيمنعه من الشرود ، ويمنع العقل صاحبة من الكفر والضياع<sup>3</sup> ، فما خلق الإنسان حسب رأي ابن عربي إلا لغاية هي العبادة من خلال معرفة الموجودات وأن الواحد تعالى موجود مادام انه عاقل ، هذا العقل الذي هو عماد التكليف وبهذا العقل المكلف نعرف الله وذلك بالوصول إلى نعيمه فكما جعل الله عند الحيوانات خصالا تمتاز بها عن الإنسان مثل الجري عند الفرس ، والشجاعة عند الأسد، فإنه كرم الإنسان بالعقل وفضله على جميع الكائنات الأخرى.

وقوله تعالى: "ولقد آتينا لقمان الحكمة"<sup>4</sup> ، فاختيار لقمان الحكمة بدل النبوة لأن الحكمة تمتاز بالعقل المدبر الذي نحكم به على الناس.

وركز ابن عربي على الحرص بشدة على سلامة العقل والمحافظة عليه وإحاطته بأخلاق التوحيد خشية ضياعه لأن العقل أداة تميز بين الحق والباطل وبين العلم والجهل ولقوله تعالى: "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب"<sup>5</sup> ، أي أن الذين يعرفوا الفرق هم أصحاب العقول.

ومن مهام العقل عند ابن عربي: التحكم في الطباع والسيطرة على الشهوات لهذا كان مصدر للأفعال الأخلاقية فسعادة الإنسان في أفعاله الصادرة على تميز ورؤيته والتي تتم بواسطة القوة الناطقة.

والعقل مسؤول هو الآخر عن وجود العلم ما دامت النفس من خصائصها حماية ذاتها وحرصها على بقائها حية ونلمس ذلك من قبل الغزالي (1058م-1111م) من خلال أن العقل منبع للعلم وأساسه فيقول: "والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة في الدنيا والآخرة"<sup>6</sup> ، فالعقل عنوان النور والعلم أريد به الثقة والتبصر .

<sup>1</sup> ابن عربي : الفتوحات المكية. ج3، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1999، ص83.

<sup>2</sup> سورة البقرة: الآية 13.

<sup>3</sup> أبا محمد الحسين ابن مسعود: معالم التنزيل، ج1، تحقيق عثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997، ص88.

<sup>4</sup> سورة لقمان: الآية 12.

<sup>5</sup> سورة الزمر: الآية 09.

<sup>6</sup> الغزالي أبو حامد : إحياء علوم الدين، ج1، تقديم طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الصفاء، القاهرة، ط2003، ص90.

كقوله تعالى: "ويخرجهم من الظلمات إلى النور"<sup>1</sup>، فلا يتم للإنسان حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصي عدوه إبليس لذا كان الورع والتوبة عند ابن عربي عنوان كمال الإنسان من مظهره وباطنه<sup>2</sup>، رغم أن العقل شرط في وجود الحياة، فإنه عند الشيخ الأكبر لا يخرج عن حدود التدبر في الموجودات، بحكم أنه يستند في برهانه الوجودي إلى الحسي أو الضرورة أو التجربة، فالعقل يصبح عاجزاً على إدراك ماهية الخالق.

حيث يقول: "الباري تعالى غير مدرك بهذه الأصول التي يرجع إليها العقل في برهانه"<sup>3</sup>، وهذا ما خالف ابن عربي فيه أهل النظر الذين اعتبروا وأن العقل أساس وقاعدة لمعرفة الله تعالى، لذا اقر ابن عربي أن واجب ووظيفة كل إنسان عاقل أن يتيقن من أن الحياة الدنيا ما هي إلا ترحال مبني على المشقة وشطف العيش والمحن، والبلايا، وركوب الأخطار والأهوال (العظام)<sup>4</sup>، إذن فالحياة الروحية لا تعني الحرمان والتعذيب بل تهدف إلى جعل الإنسان موصولاً بالله بالقلب لا بالقالب وهذا وهذا القصد من الحياة الروحية فالمقصود من الآية الكريمة: "اعلموا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة"<sup>5</sup>، وهي تحقير بحال الدنيا وتعظيم حياة الآخرة وهنا تبث وظيفة العقل وذلك بالتمييز بين الخير والشر ونجد توافق ابن عربي مع ابن المقفع.

أن عنوان الحزم والصالح والنفع بواسطة يرفع الضرر ولا يقوى إلا إذا تغذى بالأدب وكريم الخلق بصلاحه وسلامته يفوز الإنسان بالدارين.

لأن الجاهل المغتر من استعمل أمور البتر والأمنية والحازم اللبيب من ساس الملك بالدارة والرفق<sup>6</sup>، وأفضل ما رزق الله له الخلق هو هيبة العقل وبالأدب تظهر قيمة العقل وأن مرآة العقل تجاربه ولخص في هذا البيت.

ألم ترى العقل زينته أهله ولكن تمام العقل طول تجاربه<sup>7</sup>.

زينته العقل تثبت في أهله وتمام وكمال العقل في تجاربه.

<sup>1</sup> سورة المائدة: الآية 16.

<sup>2</sup> ابن عربي: الفتوحات المكية، ج1، ص101.

<sup>3</sup> ابن عربي: الفتوحات المكية، ج2، ص22.

<sup>4</sup> ابن العربي: كتاب الأنوار، مكتبة عالم الفكر، ط1، 1986، ص13.

<sup>5</sup> سورة الحديد: الآية 20.

<sup>6</sup> عبد الله ابن المقفع: كنز العمال، مكتبة المعارف، بيروت، (د ط)، 1994م، ص20.

<sup>7</sup> نفسه، ص8.

## المبحث الأول : الحب الإلهي \* عند توما الأكويني \*\* .

يقال أن في الله إرادة ومحبة وعدل ورحمة في حين أن المحبة تحتوي على الحزن والغضب وهذان الصفتين ليسا من صفات الله وإنما هما مجازان لصفته ولفظهما إنما كانت في الله إرادة يجب علينا إثبات المحبة فيه، فما هو الحب الإلهي عند توما الأكويني؟

تفرض المحبة في الأصل الأول لأنه ليس يتشوق أحد إلى الخير المحبوب ولا يفرح أحد إلا بالخير المحبوب والبعض أيضا لا يتعلق إلا بما يضاد الشيء المحبوب وكذا من البين الحزن ونظائره تستند إلى المحبة استنادها إلى المبدأ الأول<sup>1</sup> ، نرى من هذا القول أن باب المحبة واسع إذ أن المحبة الإلهية قوة مؤلفة من دون تركيب موجودة في الله من حيث أنه يريد الخيرات لجميع أجناسه خيرين وشريرين وأنه يحبهم على السواء وعنايته تعم الجميع.

وفي قوله رو:8 " لم يشفق عن ابنه بل أسلمه عن جميعا"<sup>2</sup> ، أي أن الله أحب الجنس الإنساني أكثر من المسيح رغم أن المسيح أفضل الأجناس الإنسانية.

وقوله في رو:5 "إن محبة الله قد أفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي أعطي لنا"<sup>3</sup> ، أن محبة المسيح تفوق المعرفة وأن الفضائل الخلقية ملازمة للمحبة وأن محبة الله يجب أن تملأ قلوبنا حتى يشعر الإنسان بأن باب الحب في قلبه لله معتمرا فيه لا غير ولذلك يقال من لم يحب الله فإنه يبقى في الموت لأن المحبة هي من الفضائل التي تستكمل الحياة الروحانية والمحبة إتمام الشريعة.

وهب أيضا للإنسان عن طريق الإعلان الإلهي والكنيسة والفرائض فضائل لاهوتية أخرى هي الإيمان والرجاء والمحبة وهي التي توجه الإنسان إلى الله<sup>4</sup> ، فالإيمان لا يكون فضيلة دون المحبة فهو كالعفة والشجاعة يحتاجان إلى الفطنة كذلك حال الرجاء فبدون الرجاء لا يستطيع تحقيق السعادة المستقبلية ولذلك فالإيمان والرجاء يحتاجان إلى فضيلة المحبة لان بدونها

\* الحب الإلهي: عشق وانجذاب للمحرك الأول الذي لا يتحرك ومع أن لغة الصوفية واحدة في عبارات الحب بمعنى أنها تحتوي التفسير الإلهي والتفسير البشري إلا أن هناك تفرقة بين محبة الحق ومحبة الخلق. ينظر إلى : معنى زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية (المجلد الأول) ، ص351.

\*\* توما الأكويني: (1225-1274) أعلن قديسا لعشق الله في عام 1223 درس في جامعة نابولي اتجته المضاد الذي يحاول تصوير أرسطو على أنه مناصر للعقائد المسيحية ، أهم مؤلفاتهم: النفس، في الحاس والمحسوس، في الذكر والتذكر. ينظر إلى: فؤاد كامل وآخرون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت (د.ط.)، (د.ت.)، ص71.

<sup>1</sup> توما الأكويني : الخلاصة اللاهوتية (المجلد 1) ، تر: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، (د.ط) 1881، ص277.

<sup>2</sup> نفسه، ص283.

<sup>3</sup> توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية (المجلد4)، تر: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت،(د.ط.)، 1898، ص241.

<sup>4</sup> فايز فارس: الأخلاق المسيحية، دار الجيل للطباعة ، القاهرة، ط1 ، 1992، ص46.

سوف يثاب ويعاقب في مستقبل الزمان وبالرجاء يحقق السعادة و يمكن أن ترتبط المحبة بالوجود لأن المحبة هي حب الله والله يمكن أن نحبه عن طريق الفطرة ، فيجوز انفراد المحبة عن الرجاء والإيمان ونوصل المحبة بالوجود وتعتبر المحبة الأصل للفضائل فالمحبة في المسيح تخلو من الإيمان والرجاء إلا أنها كانت عنده كاملة لأنه كان مدركا كاملا ، في حين لا يجب إنفراد المحبة عن الإيمان والرجاء والوجود لأنه بغير الإيمان لا يستطيع أحد أن يرضي الله فهو يحب من يحبونه ، فالمحبة لا تدل عن حب الله فقط بل على صداقته أيضا في حين أن الصداقة تزيد من معنى الحب وتقويته ويرجع هذا إلى فضيلة المحبة وفي قوله: يو: 4: 16" من ثبت في المحبة فقد ثبت في الله والله فيه"<sup>1</sup> ، أي من وقع في حب الله فالله أيضا يبادل نفس الحب ومنه من أحب الله فالله أحبه.

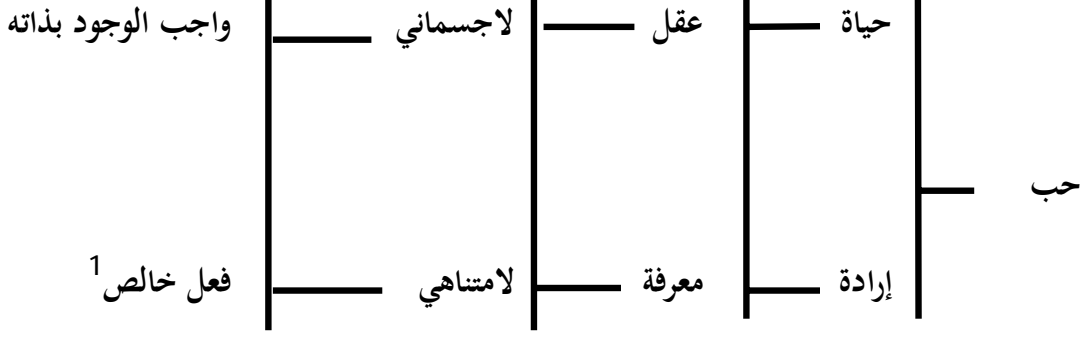
لماذا يحب الإنسان طبيعة الله أكثر مما يحب شيء آخر فإنه يشير في العادة إلى أن كل إنسان يحب بطبيعته خيره هو الخاص لا بد بالضرورة أن يحب ذلك الذي بدونه يصبح خيره الخاص هذا مستحيلا<sup>2</sup> ، فالأشياء الطبيعية تساعد بعضها البعض لان الموجود العاقل الذي وهب ذكاء هو الذي يستطيع أن يدرك مدى اعتماده على غيره وهذا شرط ضروري لوجوده والاعتماد عليه، والإنسان يحب الله ويفضله على نفسه وهنا تبرغ ظاهرة الحب الإلهي ، هنا نعرف قيمة الجزء الذي يحافظ على الكل الذي هو جزء منه ، فمثلا الإنسان لما يتلقى أذى نجد اليد تمتد تلقائيا للحفاظ على الجسم وتمنع الأذى عنه والحب المادي هو الذي جعل العلاقة أكثر بروزا بين الخير الإلهي والخير البشري رابطة بين الكل والجزء فإن كان الإنسان يحب الله بطريقة طبيعية أكثر من الأشياء ومن نفسه ، أفلا يرجع ذلك ببساطة إلى أن الله هو الخير الكلي الذي يندرج تحته جميع الخيرات الجزئية التي تعتمد عليها وجود الإنسان بنفسه وذلك شرط الوجود الخاص وكماله الخاص فإذا كان الإنسان يمثل الصورة الإلهية في نظر القديس توما الأكويني وهذا التشبيه الكامل لأنه حقق مصلحته الخاصة على أكثر وأكمل وجه وان الله هو كمال الوجود وهو الموجود وإذا ما حقق الإنسان إمكانياته يصبح بهذه الصورة الكاملة لله.

الإيمان مصدر المحبة والمحبة مصدر الرجاء<sup>3</sup> ، إن المحبة ليست حب مطلق بل بإعتباره وكونه موضوع السعادة الذي نتوجه إليه بالإيمان والرجاء اللذان يقودانه إلى كمال الفضائل فالمحبة متقدمة عن الرجاء والإيمان مصدر للمحبة والمحبة مصدر للرجاء ومن ذلك ينتج علينا أن نؤمن بالله ونرجوه بالحركات الإيمانية عن طريق المحبة المقدسة من حيث هي فعل من أفعال الرجاء فالرجاء صادر في حقيقته عن المحبة الإلهية وغاية المحبة تطهير القلب وصلاح الضمير فالرجاء يبحث فينا عن حركة شوقية صادرة عن الحب لمعرفة المحبوب فحب الله يسمى بالحب الأول الذي يختص بفضيلة المحبة التي تتعلق الإنسان فيها بالله لحيه لذاته وأما الرجاء فيسمى بالحب الثاني وذلك لرجاء الله قصد أن تنال شيء فإذا اعتبرنا أن الله الكمال فالمحبة متقدمة طبعا عن الرجاء ومتى ازدادت المحبة رجاء ازداد الله كمالا.

<sup>1</sup> توما الأكويني : الخلاصة اللاهوتية (المجلد4) ، ص254.

<sup>2</sup> إتين هنري جلسون: روح الفلسفة المسيحية ، ص350.

<sup>3</sup> توما الأكويني : الخلاصة اللاهوتية (المجلد5)، تر: المطران بولس عواد، بيروت (د. ط)، 1908، ص549.



ربط توما الأكويني بين الإرادة والمحبة بوصفهما صفتين من صفات الله، بمعنى أن الحب يتطلب إرادة وطالما وجدت الإرادة وجد الحب فالله مريد في حين أن الله محبة ، لأن الحب ببساطة هو عبارة عن حب تريد به الخير لشخص ما ومن هذا نستنتج أن الله حي ومريد ومحب تنبع جميعها من العقل كونه أنه عقلا خالصا.

ويطالبنا القانون الإلهي، بحب الله وأن تحب كذلك جارنا بدرجة أقل<sup>2</sup> ، أي أن حب الله هو حب راقى وخالص رغم ذلك فالله يوصي بحب الجار لكن بدرجة أقل ودرجة حب الله لا يمكن لأحد أن يرتقي ويصبو إليها.

الله خير ومصدر الخير لكن الخير لا يمارس قسراً على الإنسان ولا يعقد حياته الشخصية والاجتماعية<sup>3</sup> ، لأن الله خير ولأنه خير أعطى للإنسان الحرية في حياته سواء على الصعيد الشخصي والاجتماعي.

وبمأن الإنسان على صورة الله ومثاله فهو ليس كائن طبيعي ، بل لا يمكن عزله عن الله<sup>4</sup> ، هناك علاقة تكاملية بين خلق الإنسان وصورة الله التي هي صورة الإنسان الذي لا نراه .

فإن الله لا بد أن يكون محرك لهذه الحركات وخالقها في آن واحد<sup>5</sup> ، من وجود الأشياء والحركات لا بد من وجود قوة إلهية هي التي خلقت العالم وجعلته يسود في نظام وله ترتيب محكم .

إن جسد الإنسان ليس بالطبيعة هو الجانب الشرير فيه ، لكنه كالنفس خلقه الله صالح ، إلا أنه أقل قيمة من النفس<sup>6</sup> ، أي أن الله خلق الجسد أقل قيمة من النفس لأن النفس كاملة في الحياة الآخرة كالملائكة لأن ليست لهم أجساد أما الإنسان خلق صالحاً وأعطاه الحرية أن يكون خير أو شرير بإرادته .

<sup>1</sup> ماهر عبد القادر محمد وحري عباس عطيتو، دراسات في فلسفة العصور الوسطى ،ص440.

<sup>2</sup> برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،(د.ط.)، 2010، ص238.

<sup>3</sup> جورج منزيدي: الأخلاق المسيحية ، تر: ميشال نجم ،جميع الحقوق محفوظة ،ص26.

<sup>4</sup> جورج منزيدي: الأخلاق المسيحية ، ص31.

<sup>5</sup> إتين هنري جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ص120.

<sup>6</sup> فايز فارس: الأخلاق المسيحية، ص46.

نظرنا في حدود وماهية الخلق فإننا لن نجد ماهية الأحجار أو الإنسان ما يقول بضرورة الوجود في زمان أو ابتداء زمان إنما الحدود أو التعريفات دائما خارجة عن الزمان فلا تحدد زمانا لا بالأزل ولا بالبدء<sup>1</sup> ، يرى توما الأكويني العالم قابل للإيمان وغير قابل للبرهان ولا للعلم ولا للتغيير ويعتبر الشر الشيء الوحيد الذي يعطينا الفرق بين الخالق والمخلوق فلو نضيف الشر إلى الله إذن انه يخلق العدم ويصبح الخالق والمخلوق شيء واحد هذا لا معنى له إذ أن الموجودات تترتب ترتيبا تنازليا بحسب درجة الشر وبحسب النقص في المخلوق بالنسبة إلى درجة الخالق فنجد في القمة ما هو معقول ثم ما هو أقل من المعقولة وهكذا نجد فيما هو الانحراف اللازم لصفة الخلق بإيزاء الخالق والشر من صفات الخلق لا الخالق.

<sup>1</sup> عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات ، الكويت، دار القلم، بيروت ولبنان ، ط3، 1979، ص158.

## المبحث الثاني: العقل \* عند توما الأكويني:

لما خلق الله العقل قال له: من أنا فسكت ، فكحله بنور الوجدانية فقال: أنت الله فلم يكن للعقل أن يعرف إلا بالله . فما هو العقل عند توما الأكويني؟ وما هي أهميته؟.

وليس لعقل مخلوق أن يدرك الله إدراكاً غير متناه لأن العقل المخلوق يدرك الذات الإلهية إدراكاً أكثر وأقل كمالاً بحسب الكثرة أو القلة ما يفاض عليه من نور المجد ولما لم يكن ممكننا لنور المجد المخلوق المقبول في أي عقل مخلوق أن يكون غير متناه لم يكن ممكننا أن عقلاً مخلوقاً غير متناه<sup>1</sup> ، بما أن العقل عبارة عن جزء مخلوق داخل الذات الإنسانية فهو عقل محدود ولا يمكن معرفة وإدراك الذات الإلهية إدراكاً كاملاً مهما كثرت أو قلت هذه العقول ومهما بلغت درجة الإيمان فلا يمكن أن يصبو الإدراك للذات الإلهية اللامتناهية واللامحدودة.

إنه لا يمكن للعقل البشري أن يبلغ بملكته الفطرية إلى إدراك جوهر الله بالذات لأنه لمعرفة عقلنا تبدأ بمقتضى نمط الحياة الحاضرة بالحس ، ولهذا فإن مالا يقع تحت الحواس لا يمكن أن يدرك من قبل العقل البشري إلا إذا جرى استنباطه بدءاً من الحواس ، والحال أن المحسوسات لا يمكن أن يقود عقلنا إلى أن يرى فيها كنه الجوهر الإلهي ، لأنها لا تعدو أن تكون معلولات لا تضاهي شرف العلة<sup>2</sup> ، إذ أن العقل يبقى خادماً للإنسان البشري ولا يمكنه أن يفوقه لأن العقل هزيل موهن ولا يمكن أن يفوق الحقائق اللاهوتية وأن اعتراف توما الأكويني في تكلمه عن الإيمان فهذا يعتبر خطأ لأن العقل يتخالف مع الإيمان.

فخطأ وحماسة محاولة إقرارها بالعقل لأنها تتجاوز العقل إلا أنه يمكن فقط إقناع الكافر بأن متاعبه ليست ممالا يمكن التغلب عليها، وأن الاعتراضات من ذاك القبيل بحسب إعتبار القديس توما ممكن لأن العقل الطبيعي لا يمكن أن يكون متعارض مع حقيقة الإيمان فكلا من العقل والإيمان مشتق مع الحقيقة المطلقة التي هي الله<sup>3</sup> ، فالعقل يتخالف مع الإيمان في جل قضايا بالشرعية وعليه حقوق وواجبات بالنسبة للإيمان ولأن لكل إنسان عقل فعالاً خاص به ولذلك عرف بأنه "حيوان عاقل" وهذا ما دل على كرامة الإنسان وربط الصلة بين العقل والنقل وذلك تحت إسم الحكمة والحكمة معناها ترتيب الأشياء من أجل سياستها سياسة صالحة لتهيئ للإنسان القدرة على الهيمنة هيمنة صالحة على الأشياء والأفعال .

\* العقل: العقل في الاسم واحد وسلطانه ناقص وزائد وهو متبوع متفرع ، يقوى بقوة أركانه ويزداد بزيادة سلطانه وأول مقام العقل هو عقل الفطرة ، وهو الذي يخرج به الصبي والرجل من صفة الجنون، فيعقل ما يقال له لأنه ينهي ويأمر ، ويميز بعقله بين الخير والشر. ينظر إلى: رفيق العجم : موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ، ط1، 1999، ص646.

<sup>1</sup> فايز فارس: الأخلاق المسيحية ، ص135.

<sup>2</sup> أميل برهيه: العصر الوسيط والنهضة (ج3) تر: جورج طرايشي، بيروت، (د.ط.)، 1988، ص174.

<sup>3</sup> جونو وبوخران: تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطة، تر: علي زيعور وعلي مقلد ، (د.ط.)، 1993، ص123.

وموضوع العقل ما هو معقول، وما هو معقول هو الحكمة، فكأنه إذا كان موضوع الحكمة هو الله، فهو موضوعها في الواقع هو الحقيقة لأن الحقيقة أن ينظر إليها ويوصفها الغاية، فمن هنا نجد أن الحقيقة باعتبارها هي الغاية من الكون هي أيضا موضوع الحكمة<sup>1</sup>، فالعقل هو المصدر المؤدي إلى تحقيق هذه الغاية وأن العقل بمفرده لا يستطيع بلوغ هذه الحقائق والعقل في نظر توما لا يستطيع أن يكون له موضوع قائم بذاته لأنه متعدد ولا يصبو إلى إكتشاف حقيقة واحدة لهذا الكون وليست يقينية.

المعرفة الفلسفية هي التي تقوم على المبادئ العقلية، وهذه المبادئ العقلية توضع في العقل الإنساني عن طريق الله، ذلك لأن كل من يعلم لا بد أن يكون حاصلًا على العلم الذي يلقيه لتلميذه فإذا كان الله هو الذي يعلم الإنسان، من حيث أن هذه المبادئ فطرية فيه فلا بد أن يكون الله حاصلًا على هذه المبادئ، وإذا كان الله حاصلًا عليها فهو إذن المصدر سواء بالنسبة إلى العقل وبالنسبة إلى النقل والعقل والنقل يتحدان في الحكمة الإلهية<sup>2</sup>، فالعقل والنقل مختلفان في نظر توما الأكويني من ناحية المنهج والترتيب فالعقل تكون مبادئه مما يستقبل ويوحى إليه بينما النقل يكون محفوظًا في الكتب المقدسة وكمال الله وقدرته المطلقة أما من حيث الترتيب فالعقل من المحسوس إلى المعقول أما النقل فمن الله ليصل إلى المحسوس فطريقة الله هي الأوفق لأنه يدرك الأشياء بإدراكه لذاته إلا أن توما لا يخلط بين العقل والنقل ولا يميز بينهما في حين لا يفصل بينها فصلا تاما لأن كلاهما موجود في الله أي في الحكمة الإلهية.

فالعقل الإنساني يمكن أن يقود إلى معرفة حقيقية لوجود الله وصفاته أما الإيمان فإنه يتقدم خطوة أسمى من ذلك لأنه يقدم لنا الله<sup>3</sup>، إلا أن هذه المعرفة تفوق العقل البشري ولا يستطيع أن يلازم صفات الله مع العالم الطبيعي في حين أن هذه العقيدة لا تتعارض مع العقل ولكنها تتجاوز معه منطقيا.

<sup>1</sup> عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى: ص 134.

<sup>2</sup> نفسه، ص 132.

<sup>3</sup> فايز فارس: الأخلاق المسيحية، ص 45.

المبحث الثاني: أدلة وجود الله:

1- براهين وجود الله:

أ. البرهان الأول: الحرك الأول: اعتمد القديس توما الأكويني على العالم الطبيعي في البرهان على وجود الله ويؤكد على وجود علة سببية للمعلومات ، وذلك بالرجوع إلى مالا نهاية له في أسباب الموجودات وهذا مستحيل فلا بد من التوقف عند علة أولى وهي الله. فما هي الأدلة التي تثبت وجود الله؟.

في عالمنا هذا أشياء متحركة وكل متحرك فهو يتحرك من آخر لأنه ليس يتحرك شيء إلا باعتباره كونه بالقوة إلى ما يتحرك إليه ، وإنما يحرك شيء باعتباره كونه بالفعل إذ ليس التحريك سوى إخراج شيء من القوة إلى الفعل وإخراج شيء إلى الفعل لا يمكن أن يتم إلا بوجود بالفعل<sup>1</sup> ، أي أن الكون هو عبارة عن محركات وكل محرك إلا وله محرك آخر يحركه وهذا ما يجعلنا في سلسلة من المحركات إلى أن نتوقف عند محرك له قوة فاعلة وهذا المحرك الفاعل الذي لا يتحرك أي ثابت يسمى المحرك الأول وهو "الله".

وكل حركة هي انتقال من حالة القوة إلى حالة الفعل والشيء لا يكون من ناحية واحدة وفي زمان واحد ومكان واحد بالقوة وبالفعل معاً<sup>2</sup> ، ما دمنا نشاهد تغير في سيورة حركية دائمة إلا أن هذا المحرك الأول غير قابل لأنه يتحرك وهو محرك يجعل الأشياء تتحرك باختلاف الزمان والمكان وهي قوة لا يملكها إلا محرك أول وواحد هو الله.

لما كان فيها محرك أول ، دائما تصبح جميعها محركات متوسطة ، وإذن فلا واحد منها يمكن أن يتحرك. وهكذا تنتفي الحركة من العالم ، ولكن الحركة بينة في العالم فالفرض من ثمة ساقط ولا بد من القول بمحرك أول<sup>3</sup> ، فعندما يكون المحرك الأول هو الثابت تصبح جميع المحركات متوسطة وغير حركية ويصبح العالم في حالة جماد في حين أن الحركة الموجودة في العالم واضحة ومن ثمة الفرض يصبح غير صحيح وأنه يمكن القول والإعتراف بمحرك أول وهو الله.

لكن الحركة بينة فلا بد من القول إذن بعلة أصلية<sup>4</sup> ، بمعنى وضوح الحركة يثبت وجود الأصل هو الله ولا نقاش في هذا إلا أن الحركة العالمية تحكمها قوة ثابتة.

كل محرك متحرك بآخر وهنا المحرك بدوره إما محرك وإما غير محرك ، فإن لم يكن محركا نكن قد وصلنا إلى مبتغانا، أي إلى محرك أول وغير متحرك وهو ما نسميه الله<sup>5</sup> ، كل متحرك له محرك وعلينا إتباع السلسلة إلى مالا نهاية إلى الانتهاء إلى محرك غير متحرك وهو الله.

<sup>1</sup> توما الأكويني : الخلاصة اللاهوتية (مجلد 1) ، ص32.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى ، ص141.

<sup>3</sup> ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الأكويني، كلية الآداب الإسكندرية، (د.ط.)،(د.ت) ،ص24.

<sup>4</sup> نفسه، ص25.

<sup>5</sup> أميل برهيه: العصر الوسيط والنهضة (ج3) ، ص174.

إن وجود حركة من نوع تعتبر دليلاً على وجود محرك أول تسبب في حدوث حركات تسببت هي بدورها في حدوث هذه الحركة ولهذا وجب الوصول إلى محرك أول أي محرك لا يتحرك ، فاعل غير مفعول ، هذا المحرك الأول كما نعلم هو الله<sup>1</sup> ، فهذه الحركات تنتقل من القوة للفعل وكلما زاد الفعل زاد الكمال غير أن هذه التحركات تعتمد كل منها على محرك لها يتحرك بدوره بفعل محرك آخر ولذلك يجب الوصول إلى محرك لا يتحرك لهو الله.

إذ ليس يمكن أن يكون شيء واحد بعينه محركاً لنفسه ، لأنه ليس يمكن لشيء واحد بعينه أن يكون بالقوة وبالفعل معا باعتبار واحد ، فكل متحرك فهو متحرك من آخر ، ولا يجوز التسلسل إلى غير نهاية ، فلا بد من الانتهاء إلى محرك أول غير متحرك<sup>2</sup> ، فالوصول إلى محرك كلي يحرك كل موجود مباشرة دون واسطة وأن الله يفعل في كل فاعل ، لأنه علة كل وجود والفعل وجود ولكن كل المخلوقات لها أفعال خاصة ، بحيث لا تستطيع أن تصدر فعل واحد عن فعلين وهذه من سمات الخالق وحده.

### ب - البرهان الثاني: العلة الأولى \*

الأشياء الطبيعية تتأثر فيما بينها وهذا التأثير يؤدي بنا إلى معرفة الله واكتشافنا للذات الإلهية المقدسة عن طريق معرفة أعماله ومؤثراته وتسلسله إلا أنه علة أولى لوجود العالم.

التسلسل ممتنع في العلة المؤثرة لأن الأول بين العلة المؤثرة والمتربة هو علة الوسط والوسط هو علة الأخير سواء كان ثمة وسط واحد أو أساط كثيرة<sup>3</sup> ، أي أن تأثير العالم ببعضه البعض أننا سوف نتوقف عند علة أولى وهي "الله" إلا أنه لا يمكن التسلسل في العلة لأن العلة الأولى في نظر توما الأكويني هي علة دينية بمعنى الخلق والعلة الأولى تخلق من العدم ولا تخلق خلقاً طبيعياً وأن لكل حدوث ظاهر فلا بد من مسبب لحدوثها وعلة لإيجادها ولا يمكن لأي شيء أن يكون علة لنفسه لأن العلة تسبق المعلول بالضرورة وإذا كان الشيء نفسه علة فهذا باطل .

إذا لم توجد علة أولى بين العلة الفاعلة ، لن توجد علة أخيرة ولن توجد وسائط ، ولكن إذا كان من الممكن أن نمضي في العلة الفاعلة إلى غير نهاية ، لن تكون هناك علة فاعلة أولى ولن تكون هناك نتيجة أخيرة ، كما لن تكون هناك علة فاعلة وسيطية ، ومن البين أن هذا جميعاً محال، وإذن فيلزم الاعتراف بعلة فاعلة أولى وهي ما يطلق عليها اسم الله<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ماهر عبد القادر محمد وحري عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص335.

<sup>2</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص145.

\* العلة الأولى: تنبيه الحق بسبب وغير سبب وهو كل من وجب له الكمال الذاتي والغني الذاتي لا يكون على الشيء لأنه يؤدي كونه علة توقفه على المعلول والذات منزهة عن التوقف على شيء كونها علة محال لكن الألوهية قد تقبل الإضافات فإن قيل ، إنما يطلق الإله على من هو كامل الذات غني الذات لا يريد الإضافة ولا النسب قلنا لا مشاحة في اللفظ ، بخلاف العلة فإنها في أصل وضعها ومن معناها تستدعي المعلول ينظر إلى: رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، (د.ط.)، (د.ت)، ص657.

<sup>3</sup> توما الأكويني : الخلاصة اللاهوتية (المجلد 1)، ص 32.

<sup>4</sup> عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى، ص141.

، وهذا دليل على وجود علة أولى تتحكم في جميع الموجودات وإن لم تكن هذه العلة الفاعلة يستحيل وجود موجودات تتحرك من إرادتها لأن الانفعال صفة من صفات العلة الأولى التي نثبتها ونطلق عليها اسم "الله".

الصعود في الآن الحاضر وفي كل آن إلى علة أولى بغض النظر عن قدم العالم وحدثه فالتسلسل هنا تصاعدي من حيث أنه لا بد من الوقوف عند حد أول<sup>1</sup>، بمعنى أن العلية هنا دينية وهي العلة الخالقة يجب التسلسل والبحث عنها رغم قدم العالم وهنا التسلسل يكون بالعملية الصعبة ومنه يبدأ هذا الدليل من الوجود لنبحث عن علة هذا الوجود وهذه العلة الفاعلة هي ما يطلق عليها اسم الله.

في جميع العلل الفاعلة المنتظمة ، يكون الحد الأول علة الأوسط ، والوسط علة الأخير، سواء أكان هناك حداً وسطاً واحداً أم أكثر<sup>2</sup> ، في جميع العلل هناك علة فاعلة منتظمة تسمى بالحد الأول فإن حذف لن تكون هناك حدود وسطى ولا حدود أخرى ولذلك يجب أن تكون علة أولى فاعلة هي الله.

وجود سلسلة من العلل يكون لكل علة فاعلة حتى نصل للعلة الأولى التي هي الله وهي علة ذاته<sup>3</sup> ، إن جميع هذه الظواهر الموجودة في العالم تثبت وجود علة الأولى لمهي الخالق وهو الله.

من جهة جوهر الوجود المتحرك فإنه مفتقر إلى علة فاعلة ، إذ ليس يمكن أن يكون الشيء الذي يخرج إلى الوجود علة فاعلية لنفسه، وإلا لزم وجوده قبل نفسه، وهذا خلق ولا يجوز التسلسل إلى غير نهاية فلا بد من إثبات علة فاعلية أولى<sup>4</sup> ، ولبيان عدم التسلسل في جنس العلل الفاعلية وهذا يرمي إلى ضرورة علة أولى تفعل بوسائل مترتبة فيما بينهما وهذه العلة تكون بيانية ضرورة علة خالقة وذلك بتطبيق نظرية القوة والفعل تطبيقاً أدق وهذا ليس موجوداً بذاته بل سبب وجوده العلة الفاعلة الأولى وهي الله.

### ج- البرهان الثالث : الممكن الواجب\*:

الممكنات وإن كانت لا تنتهي وهي معدومة فإنها مشهودة للحق تعالى من كونه يرى فإن لم نحلل الرؤية بالوجود وإنما نحلل الرؤية بالأشياء.

<sup>1</sup> ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الأكويني ، ص26.

<sup>2</sup> أميل برهيه: العصر الوسيط والنهضة، ج3 ، ص179.

<sup>3</sup> ماهر عبد القادر محمد وحربي عباس عطيتو : دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص435.

<sup>4</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ص145.

\* الممكن الواجب: الله حفيظ رقيب والعين القائمة بنفسها محفوظة مراقبة وحافظ الكون حفيظ الزمان وجوده والحق مراقب بفتح القاف وللعبد غير محفوظ له فإنه لا يقبل أن يكون محفوظاً فإنه الصمد الذي لا مثل له، ينظر إلى : رفيق العجم ، مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ، ط1، 1999، ص942.

جميع الموجودات ممكنة ، بل لا بد أن يكون في الأشياء شيء واجب والواجب لما واجب لذاته أو لغيره<sup>1</sup> ، وجود الأشياء كلها ممكنة وظاهرة وكل ما يلاحظ في الأشياء فهي يجب أن تكون إلا ما هو ممكن لا يستمد وجود من ذاته بل من غيره ، وإذا قمنا بإضافة شرط التسلسل إلى غير نهاية وجب علينا البحث عن وجود واجب يستمد وجوده من ذاته لا من غيره وهذا هو عين اليقين وهو الله.

هذا الموجود لا بد أن يكون قد نشأ عن موجود لم يفسد حينما فسد الكل<sup>2</sup> ، أي البحث عن موجود وجب إمكانه ووجوده إلا أنه يفسد حينما تفسد كل الموجودات وهو الله.

يتمتع أن يمضي التداعي في سلسلة الأشياء الواجبة الوجود إلى غير نهاية كما تبين بصدد العلة الفاعلة وإذن فلا بد أن يكون هناك موجود يكون وجوده واجبا لذاته وليس من غيره ويكون هو علة الوجوب في غيره وهذا هو الله<sup>3</sup> ، لما تتسلسل الأشياء تكون قابلة للزوال وتتسلسل الكائنات يستوجب حدوث فراغ أو عدم وبذلك يستحيل وجود كائنات إلا بالبحث عن الممكن الواجب كي نفس عملية إيجاد الكائنات الزمنية التي هي كلها ممكنات.

لا يكون الشيء ممكنا وواجبا بذاته، بل لا بد من واجب يستمد منه الممكن وجوده حينما يتحقق وهذا الواجب واجب بالضرورة ، أي وجوده من ذاته وهو الله<sup>4</sup> ، فلا يمكن للأشياء أن تكون ممكنا وواجبا في آن واحد فالواجب (الله) يسبق الممكن (الأشياء) وهذا الواجب هو "الله".

ولو كانت جميع الموجودات ممكنة الوجود ليس إلا ، للزم انه كان هناك حين ما كان فيه أي موجود موجودا<sup>5</sup> ، أي الموجودات ممكنة الوجود ويمكن أن لا توجد أما هناك ظاهرة العيان للوجود ولا بد من وضع موجود واجب الوجود لذاته وهو الذي أوجد هذه الموجودات وهو ما نسميه الله.

ويذكر الأكويني أن هناك أشياء ممكنة وكل شيء ممكن يستمد وجوده من غيره وهذا الممكن قد يتحقق وجوده بالفعل وقد لا يتحقق ويظل وجوده بالقوة وإذن فكل ممكن يحتاج لواجب يحققه ، وهذا الواجب يعتبر ممكنا لواجب آخر، وهكذا حتى نصل لواجب بذاته وهو واهب الوجود لذاته ولكل الموجودات ، وهو واجب بالضرورة ، والواجب بالضرورة هو الله<sup>6</sup> ، الأشياء تمكن أن توجد ويمكن أن لا توجد في حين الممكن موجود أول وسابق لكيونته هذا الوجود مرتبط بالحقيقة وهذه الموجودات لا توجد إلا بالممكن الواجب وهو الله الخالق والمملك لكل موجوداته.

<sup>1</sup> توما الأكويني : الخلاصة اللاهوتية (مجلد 1) ، ص33.

<sup>2</sup> نفسه ، ص 150.

<sup>3</sup> ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الأكويني، ص27.

<sup>4</sup> عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى ، ص150.

<sup>5</sup> أميل برهيه: العصر الوسيط والنهضة ، ج3، ص180.

<sup>6</sup> ماهر عبد القادر محمد وحري عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص435.

في الطبيعة موجودات معروضة للكون والفساد ، ومن ثمة ممكن وجودها وعدمها بعد وجود فلو كان عدم الوجود ممكنا في جميع الأشياء للزم أنه لم يكن حينما ما شيء ، ولو صح ذلك لم يكن الآن أيضا شيء ، فلا بد أن يكون هناك موجود واجب لذاته<sup>1</sup> ، يرى توما الأكويني أن نظرية القوة والفعل التي تتحكم في الموجودات وتتفاعل معها تحتم علينا إثبات بالفعل الواجب لتفسير الممكن الذي هو بالقوة موجود.

#### د- البرهان الرابع: المراتب الموجودة

لما نلاحظ هذا الكمال في المراتب الموجودة في العالم إلا أننا نفكر أنه يوجد ما هو أكثر كمالا وجلالا وهذا الذي من خلال موجوداته تبرهن على ماهيته وترتيبه للكون.

يوجد شيء هو علة لها في جميع الموجودات من الوجود والخيرية وسائر الكمالات وهذا ما نسميه الله<sup>2</sup> ، أي وجود علة فاعلة تتحكم وترتب جميع الموجودات بطريقة خيرية في نظام كوني هائل ويستنتج توما الأكويني من أرسطو: أنه يوجد موجود يبلغ غاية الوجود ما نسميه الله<sup>3</sup> ، أن حقيقة الموجودات تكون حقيقية نسبية ولكن الحق أن نجد موجود تكون له درجة الحق وذلك بوجود حق مطلق وهي درجة الحق المطلق والحق المطلق يقتضي بالضرورة الوجود المطلق وهناك إذن موجود مطلق وهو الله.

فنحن نجد أن هناك شيء أنبل من شيء ولكن النبل النسبي لا يوجد إلا بالمشاركة في خير مطلق ونبل مطلق فلا بد من العقل إذن بخير مطلق ونبل مطلق والخير المطلق والنبل المطلق هما الحق المطلق والحق المطلق يقتضي الوجود المطلق والوجود المطلق هو الله<sup>4</sup> ، انتقل توما مما هو حق مطلق إلى ما هو موجود مطلق وما هو نبل مطلق أو خير مطلق إلى ما هو موجود مطلق .

أنه يوجد موجود يبلغ غاية الوجود ، وهو ما نسميه الله<sup>5</sup> ، أنه يوجد شيء هو علة وجود كل الموجودات وعلة خيريتها وكما لها ، وهذا هو الله.

حق مطلق أو موجود مطلق هو (الله)<sup>6</sup> ، لأن الموجودات تكون أقل حقيقة من الحق المطلق.

<sup>1</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص146.

<sup>2</sup> توما الأكويني : الخلاصة اللاهوتية (المجلد 1)، ص34.

<sup>3</sup> نفسه، ص29.

<sup>4</sup> عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، ص151.

<sup>5</sup> ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الأكويني ، ص29

<sup>6</sup> أميل برهيه: العصر الوسيط والنهضة، ج3 ، ص180.

هذا الكمال وذاك الجلال مصدره يرجع لما هو أكثر كمالاً وجلالاً ، وهذا بدوره يعود لما هو أكثر وأجل منه ، وهكذا حتى نصل للكمال المطلق المتمثل في الله<sup>1</sup> ، معرفتنا للأشياء والكماليات الموجودة في العالم إلا وجود ما هو أعظم وأشرف وأرقى قوة لهذا الكمال وهو الله.

من جهة تفاوت الموجودات في الصفات العامة المساوقة للموجودات من حيث هو كذلك كالوحدة والحقية والخيرية والجمال والعقل والإرادة أي الأمور المعنوية الروحانية التي تقبل الإطلاق إلى اللانهاية على ما ينبغي للموجود الأول والتفاوت إنما يكون بالإضافة إلى ما هو غاية في شيء، وإذن فهناك موجود هو غاية تلك الصفات ، ومن ثمة غاية في الوجود، وعلّة لما في جميع الموجودات من وجود وكمال<sup>2</sup> ، فهذه الصفات المتفاوتة فيما بينها كالوحدة والحقية والخيرية والجمال والعقل والإرادة هي أمور معنوية وروحية وهي لها حدود ولا تقبل الاستمرارية إلا أنه لهذه الموجودات موجود أول يفوق هذه الصفات وهو غاية هذه الموجودات وعلّة لما فيها من كماليات وهو الله.

#### هـ - البرهان الخامس: تدبير الأشياء

إن رأيتنا للكون يجعلنا في حيرة والتساؤل على من هو الذي جعل الكون كله منظم لا في جزئياته فقط بل في كلياته أيضاً وهذا ما يجعلنا أن نقر بوجود علّة عاقلة تنظم الكون.

موجود عارف وعاقل كما يسدّد السّهم من الرامي فإذا يوجد موجود عاقل يسدّد جميع الأشياء الطبيعية<sup>3</sup> ، يتبين أن للعالم نظام واحد ودائم وتآلف بين الأشياء المختلفة في الطبيعة على حد السواء إنما تقتضي بالضرورة موجوداً يدبر ويسير ويرتب الأشياء والموجودات وهذا الموجود ما نسميه الله.

إن كل شيء في الطبيعة مرتب للغاية وكل نظام لا بد أن يكون له علّة عاقلة هي التي أوجدت وجوده<sup>4</sup> ، إذن العلّة العاقلة هي أصل ترتيب نظام هذا العالم ودليل لهذا التنظيم الكلي إنه الله.

حيث بين أن ما يسود العالم من نظام دائم وتآلف بين أشياء مختلفة ، إنما يقتضي بالضرورة موجوداً يدبر العالم بعناية وهذا الموجود هو الله<sup>5</sup> ، يعني أن للعالم من نظمه وجعله يسير وفق سيرورة واحدة وترتيب تصاعدياً ومتوقفة بعضها على بعض هذا ما يؤدي إلى معرفة قوة واحدة تنظم هذا العالم لهو الله.

<sup>1</sup> ماهر عبد القادر محمد وحربي عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص436.

<sup>2</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص146.

<sup>3</sup> توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية (المجلد1)، ص34.

<sup>4</sup> عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى، ص153.

<sup>5</sup> ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الأكويني، ص29.

نشاهد في العالم أشياء من طبيعة متباينة تتوافق في نظام واحد وذلك لا نادرا بل غالبا لا بد إذن من موجود، بتدبيره يساس العالم ، وهذا ما نسميه الله<sup>1</sup> ، أي أن العالم بأسره لا يمكن أن يكون نظامه من تلقاء نفسه بل يوجد قوة أكبر منه لتحكم هذا العالم وفق نظام محكم واحد ، هو الله.

النظر في نظام الكون لنعرف أنه صادر عن علة منظمة ، والعالم يخضع لنظام دقيق لا تولده المصادفة ولا يسيره الخط ، ولذا فلا بد لنا من الإيمان بوجود علة عاقلة مدبرة تدبر وتنظم هذا العالم وتعتني به ، وهذه العلة المدبرة هي الله<sup>2</sup> نلاحظ أن هذا الكون في ترتيب هائل ومنظم لأحسن تنظيم ولا يمكن أن يكون وفق الصدفة والحظ إلا أننا نؤمن بوجود قوة جعلت هذا الكون منظم بطريقة هائلة وهذا بالإيمان بالله وحده.

أما الواحد فإننا نرى أن الموجودات العاطلة من المعرفة تفعل لغاية، وهذا ظاهر من أنها تفعل دائما أو في الأكثر على نهج واحد بحيث تحقق الأحسن ، ما يدل على أنها لا تبلغ إلى الغاية مصادفة بل قصدا ، وما يخلو من المعرفة لا يتجه إلى غاية ما لم يوجه إليها من موجود عارف، فإذا وجد موجود عاقل الأشياء الطبيعية كلاً إلى غايته وأما الوجه الآخر فهو أن جميع الكائنات منظمة فيما بينها لانتفاع بعضها ببعض والمتباينات في نظام واحد ما لم تكن منظمة من واحد<sup>3</sup> ، من الواضح أن الأشياء جميعا منظمة وفق نظام واحد ومرتبة للغاية ومنسقة فيما بينها وهذا النظام يرجع إلى علة فاعلية تتصف بالقوة والفعل فكمال الله مصدر كل كمال شيء وهو نظم للعالم كله.

فكما أننا عندما نلاحظ ترتيب الأشياء مصنوعة نستنتج وجود صانع في بوصفها العلة الكافية الوحيدة التي يمكن تصورها لمثل هذا الترتيب<sup>4</sup> ، ومنه ندرك القوة الإلهية التي جعلت العالم يسير وفق نظام حركي كوني جعل العالم المنظم وفق ترتيب واحد محكم.

<sup>1</sup> أميل برهيه: العصر الوسيط والنهضة، ج3 ، ص180.

<sup>2</sup> ماهر عبد القادر محمد وحربي عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص436.

<sup>3</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص147.

<sup>4</sup> إتين هنري جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص123.

2- الصفات الإلهية

1- الصفات السلبية:

• الله جسم:

هناك دلائل كثيرة في الكتاب المقدس تثبت بأن الله جسم نذكر على سبيل المثال:

( في أيوب 8:11 وهو أعل من السموات فماذا تفعل وأعمق من الجحيم فماذا تدري ، مداه أطول من الأرض وأعرض من البحر " وقيل في تل 26:1: "لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا"<sup>1</sup> وهذا النص يثبت بأن الله له علو وله عمق مدى وله عرض وفي النص الثاني أي أنه صنع الإنسان على صورته ومثله وهذا ما ثبت أن الله جسم في حين نجد هناك نصوص أخرى تثبت بأن الله ليس بجسم وتجلي ذلك في قوله في الكتاب المقدس: في يوحنا: 4: 24: "الله روح". وهذا يثبت عكس ما قيل بأن الله جسم.

الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا<sup>2</sup> ، أي أن الله روح وليس جسم ولكن هذه الروح يجب السجود لها بروح وحق وقوله في الكتاب المقدس: "قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا"<sup>3</sup> ، لا يقصد أن يكون الشبه ماديا وجسديا بل روحيا وأن يتخلق بخلق الله فالله طيب وعادل ورحيم وتتجل صفات الله التسع والتسعين في القرآن الكريم.

فيستحيل عليه أن يكون جسما أو يغير نفسه ، ويستحيل أن يخفق، وأن يلحقه التعب<sup>4</sup> ، أي أن له القدرة على تحدي كل شيء وبما أنه لا يتغير ولا يخفق ولا يتعب فهو ليس بجسم.

ولأن الله لامتناهي ولا محدود ، فهذا يتطلب منا أن نسلم بأن لا جسم له<sup>5</sup> ، لأن للجسم مكان معين وله حدود ومنتاهي فالله عكس ذلك ومنه نبرهن على أن الله ليس بجسم وهو عمل خالص وهو عليم وعلمه مطلق.

إن الله هو المحرك الأول ، ومن حيث أنه الموجود الأول ومن حيث أنه إشراف الموجودات<sup>6</sup> ، هنا نفى الجسمية أنه محرك أول وإذا كان جسما فهو ليس كذلك وهو موجود بالفعل لا بالقوة والأجسام موجودة بالقوة وتقبل القسمة وهذا محال

<sup>1</sup> توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية (مجلد 1)، ص35.

<sup>2</sup> أحمد ديدات: الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، تر: محمد مختار، مكتبة نرجس، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت) ص32.

<sup>3</sup> نفسه، ص54.

<sup>4</sup> برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية ، ص236.

<sup>5</sup> ماهر عبد القادر محمد وحري عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص439.

<sup>6</sup> ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الأكويني، ص32.

عند الله ومن غير الممكن أن يكون له جسم ولأن الجسم يكون متحرك وطبيعة الجسم الحياة والفناء في حين لا يمكن أن نطبق هذا على الله لأنه أشرف على الموجودات كلها ويستحيل أن يكون جسماً.

وهكذا يثبت توما الأكويني قول الكتاب المقدس بأن الله روح ( يوحنا 4: 24) أما الآيات التي تدل على الجسمية كالأيات التي تشير إلى أبعاد الله أو إلى صورته أو إلى وجوده من جهة مكانية فإن الأكويني يؤولها إلى معانيها الروحية<sup>1</sup> ومعنى هذا أن لا وجود لنوع من أنواع المادة في الذات الإلهية وأنه فعل محض للكمال الإلهي وبصدد التعبير والتدليل أكثر فقد ذهب توما الأكويني إلى دليل الحركة وأنه لا يمكن أن تتشارك ذات الله والمخلوقات التي تتحرك ولو كان الاشتراك لكانت الموجودات تستمد حركتها من ذواتها ومن كل هذا نستنتج أنه يجب أن تكون مفارقة واضحة بين الله والموجودات من حيث الصفة.

### • الله مركب:

يظهر أن الله مركب من صورة وهيولي لأن كل ذي نفس مركب من صورة وهيولي إذ النفس هي صورة الجسد<sup>2</sup> والكتاب المقدس يثبت أن الله نفس أي أنه مركب ولكل مركب جسم وأثبتنا من ذي قبل أن الله ليس بجسم فإذا ليس بمركب ، ولا ثبات نفى التركيب لجأ توما إلى الدليل النقلي: كما تنص الآية: "أنا هو الطريق والحياة" أنجيل يوحنا إصحاح 4 عدد 6، فتقر الآية أن الله ليس حياً فقط ، بل أنه الحياة ذاتها، فنسبة الألوهية إليه كنسبة الحياة إلى الحي وهنا تكون له صفات خارج ذاته وبهذا نقول أن الذات الإلهية ذات متفردة بنوع من الوجود الحقيقي الشامل وتتسم بالبساطة المطلقة فهي إذن لا تقبل التركيب ولا يقبل الانقسام فالألوهية هي عين وجوده وعين ماهيته بلا إضافة أو تركيب.

فأصحاب الحكمة من الناس يعرفونه أكثر مما يعرفه الجاهلون والملائكة تعرف عن جوهر الله أكثر من هؤلاء وأولئك<sup>3</sup> ، أي أننا لا نستطيع معرفة أصحاب الحكمة أما الملائكة تعرف أكثر منهم لأنهم أقرب إلى الله من الموجودات وهو جوهر الأشياء والجوهر لا يقبل التركيب لأنه فريد من نوعه.

والله هو جوهر نفسه ، لأنه إذا لم يكن كذلك ، لما كان كائناً بسيطاً بل كائناً مركباً من جوهر ووجود<sup>4</sup> ، فالله جوهر جوهر لذاته ولو كان جوهر لغيره لكان مركباً وهنا نفى التركيب لأنه جوهر لنفسه وله قوة وقدرة يستمد منها ذاته.

<sup>1</sup> ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الأكويني ، ص 34.

<sup>2</sup> توما الأكويني : الخلاصة اللاهوتية (المجلد 1) ، ص 38.

<sup>3</sup> برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ص 232.

<sup>4</sup> نفسه، ص 234.

• الله بسيط

الله هو علة العلم فكيف نستطيع أن نصفه بصفة البساطة ، وإنه بذكائه وعلمه الكامل استطاع أن يهب الوجود للأشياء جميعاً ، فهو بذلك وهاب لا غير إذ توما الأكويني يقول:

إذا لم يكن مركباً من أجزاء متفاوتة: لأنه ليس بجسم ولا من صورة ومادة وليس فيه تغاير بين الطبيعة والشخص ولا بين الماهية والوجود ، وليس مركباً من جنس وفصل ولا من محل وعرض يتضح أنه ليس مركباً بحال بل بسيطاً من كل وجه وثانياً لأن كل مركب متأخر عن أجزائه<sup>1</sup> ، نجد هنا أنه لا يتفق مفهوم التركيب مع مفهوم البساطة التي هي صفة من صفات الله ولما كانت ذات الله هي دالة عن وجوده فإنه يستحيل أن يطرأ عليه شيء من الأغراض لأن ذلك إنما يعني إضافة وجود آخر خارج عن الذات وهو محال على الله لأن وجوده هو عين ذاته وهذا يتنافى مع البساطة.

الإنتاج البسيط للموجودات هو فعل خاص بالوجود ذاته ، أي بالله وحده ولا أحد يمكن أن يبلغ فكرة الله<sup>2</sup> ، بمعنى أن الله خلق الموجودات ومن بساطتها نستنتج أن الله بهذا الفعل الخاص به بسيط ولا يمكن لهذا الشيء البسيط أن يبلغه أحد وبذلك مهما كان هذا الإنتاج بسيط فإن قوة الخالق ليست بالبساطة وهو عين اليقين.

أن الله بسيط لأنه لاجسماني وهذا يتفق مع كونه عقلاً وروحاً وعملاً خالصين<sup>3</sup> ، فالحركة والتغيير والتركيب والأغراض ، والانفعال والمادة والجسمية صفات تتنافى مع الكمال الإلهي المطلق.

الصفات الإيجابية مثل أنه عاقل، حي ، مرید، محب ، خير، بسيط ، وما إليها من صفات الله التي أوردتها اللاهوت<sup>4</sup> ، هذه الصفات تعطينا صورة كمال الصفة الإلهية بالمشابهة بينها وبين الصفة البشرية فبوصفه بالكمال فإنه ينفي عنه النقصان.

معرفة أن الله موجود ومعرفة أو إدراك أن هناك مشابهة من نوع ما بين الله والأشياء التي نعرفها ونشاهدها وندركها مباشرة عن طريق هوى الإدراك الطبيعية التي فينا ووجود نوع من المعرفة الشاملة لطبيعة الله وكماله<sup>5</sup> ، لأن الصفات الأولى التي طرحناها هي صفات سلبية تمس بقدرة الله وتحط من شأنه لأن الله له كمال وصفات تفوق هذه الصفات السلبية كالجسمانية والتركيب والبساطة.

<sup>1</sup> توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية (مجلد 1)، ص 47.

<sup>2</sup> إتين هنري جيلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ص 114.

<sup>3</sup> ماهر عبد القادر محمد وحربي عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص 439.

<sup>4</sup> نفسه، ص 442.

<sup>5</sup> ماهر عبد القادر محمد، وحربي عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص 443.

## 2. الصفات الإيجابية:

### • الكمال الإلهي\*:

الله هو المبدأ الأول للأشياء ولما نلاحظ الموجودات نراها كلها ناقصة وهذا ما يدل على نقص هذا الكامل الذي هو الله لكن ما يعارض هذا نجده في الكتاب المقدس.

قوله في متى 48:5: "كونو كاملين كما أن أباكم السماوي هو كامل"<sup>1</sup> ، وهذا ما يثبت كمال الخالق للمخلوقات وصفة الكمال لله وحده أي أنها تخلق ناقصة بالضرورة وترتقي للكمال .

وصف الله بأنه كامل، وإذن فنحن حين نطلق صفة الكمال على الله ينبغي أن يكون ذلك من قبيل التوسع في معنى الكمال بحيث يفهم انه كامل بالفعل كما يخلق عن كمال الأشياء المصنوعة التي تصير من النقص إلى الكمال<sup>2</sup> ، فالأشياء والمادة ناقصة لأنها مادية وجدت بالقوة أما الله غير مادي وهو علة فاعلة وموجودة بالفعل وهنا هو الكمال الإلهي فالله كامل بل في غاية الكمال.

إن الله كامل أولاً ابتداءً وليس انه يكتسب الكمال كالأشياء المصنوعة وكذلك يبين الكمال مترتب على الوجود فإن الشيء يكون كاملاً بمقدار ما يكون له من الوجود فإن الله الذي هو عين وجوده والذي له وبالتالي كل ما في الوجود من قوة أي الذي له الوجود على أفضل وجه هو إذن بريء من كل نقص<sup>3</sup> ، ومنه تمام الوجود يدل على الكمال الإلهي للذات الإلهية وكمال الله بين من كونه الموجود الأول والذي هو علة لكل شيء من كماليات فلا بد أن يكون الكمال فيه على وجه أفضل وأشرف مما في الأشياء وليس العكس.

إن الأشياء متصفة بكذا أعني بهذا النوع أو ذلك الكمال فلا بد أيضاً أن يكون الله متصفاً بهذه الكماليات ولكن نسبة أكبر جداً مما هي الحال في الوجود<sup>4</sup> ، أي نسبة الكمال في الأشياء الموجودة تفوق بكثير نسبة الكمال الإلهي لأنه فعل محض وهو القوة الفاعلة التي تتحكم في كل الوجود ولأنه عالم بعلم فوق العلوم كلها.

\* الكمال الإلهي: كمال الله تعالى عبارة عن ماهيته وماهيته غير قابلة للإدراك والغاية فليس لكمالها غاية ولا نهاية فهو سبحانه وتعالى يدرك ماهيته ويدرك أنها تدرك لا تدرك وأنها لا غاية لها في حقه وفي حق غيره، أعني يدركها بعد أن يدركها أنها لا تدرك له ولا لغيره لما هي علة ماهيته في نفسها. ينظر إلى: رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص 800.

<sup>1</sup> توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية (مجلد 1)، ص 51.

<sup>2</sup> ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة توما الأكويني، ص 48.

<sup>3</sup> نفسه، ص 99.

<sup>4</sup> عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى، ص 155.

إن كمال الله ليس مكتسبا وإنما هو كمال موجود إن صح التعبير<sup>1</sup> ، فالله هو الوجود الخالص ووجوده متميز عن باقي الموجودات وهذا ما جعلت الفلسفة المسيحية متميزة عن باقي الفلسفات الأخرى ، ولا نستطيع أن نقول إنه موجود لأنه كامل بل إنه كامل لأنه موجود.

فكل ما هو موجود يستمد وجوده من الله بالضرورة وبصفة عامة وفي جميع الأنظمة إذ أننا نجد أن ما هو موجود ولا في أي نظام جزئي سبب لما يأتي بعده في ذلك النظام<sup>2</sup> ، ومنه فإن الله هو الموجود الأول الكامل وهو السبب في جميع الموجودات كلياتها وجزئياتها.

كما أن الله وهب للإنسان القدرة على التمييز بين الخير والشر<sup>3</sup> ، لكي يعي صفة الكمال وذلك لأن الله خير بطبيعته أعطى للإنسان المشيئة للتفريق بين الخير والشرير ليعلو صفة الكمال.

القوة متحققة في الذات الإلهية تحقق فعليا، وهذا يعني أن الله تام الكمال وأن ماهيته طبيعية لا ينقصها المقدرة<sup>4</sup> وهنا تبرز كمال القدرة الإلهية على أنه ذات كاملة على عكس المخلوقات التي تتمثل طبيعتها أو ماهيتها في عدم كمالها والكمال لله فقط.



هذا المخطط يبرز لنا درجة الكمال وكلما انتقلنا من الأسفل إلى الأعلى نصل إلى درجة الكمال وهي درجة إلهية لا يستطيع لعالم المخلوقات أن تصل إليها لأن عالم الماهية زائل وناقص ولا يصبو للكمال الإلهي.

<sup>1</sup> إتين هنري جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ص 94.

<sup>2</sup> نفسه، ص 91.

<sup>3</sup> فايز فارس: الأخلاق المسيحية، ص 46.

<sup>4</sup> ماهر عبد القادر محمد وحري عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص 427.

<sup>5</sup> نفسه، ص 429.

فهناك اتصال بين الله والحقيقة من حيث إن الله هو الموجود الأول والكينونة التي ليست مسبقة بأي كينونة أخرى<sup>1</sup> أي أنه هو الكمال الإلهي الذي لا يسبقه كمال إلا أن هناك رابطة بين الله والحقيقة وهي رابطة اتصالية وفقط.

### • الخلق\*:

الخلق لا يمكن أن يكون إلا فعلا خاصا بالله وحده لان المعلومات التي هي أهم يجب إسنادها إلى المعلول الأعم والخلق ، ومن بين المعلومات التي صدرت في الوجود فيجب أن تكون من فعل المعلول الخاص للعللة الأولى وبالباغية الغاية للعموم وهي الله فنجد قوله في كتاب العلل قض 3 كالأتي :

" ليس يمنحنا الوجود ولا الفهم ولا النفس إلا من حيث تفعل بالفعل الإلهي " وإصدار الوجود المطلق المقيد بشخص أو مجال راجع إلى حقيقة الخلق<sup>2</sup> ، أي أن الوجود كله صادر من أفعال الخالق وهذا الوجود راجع إلى حقيقة واحدة وهي الخلق وهذا ما يثبت أن الله هو الواحد الذي يقيد ويتحكم بحقيقة الخلق.

وجب أن تكون قدرة الفاعل لهو الله الذي يفعل من غير قوة سابقة كما هو الخالق غير متناهية إذ لا مناسبة بين اللاقوة والقوة أي الفعل والعللة الفاعلة التي تقتضي قدرة الفاعل الطبيعي سبقها كما أنها لا مناسبة بين اللاموجود والموجود ولما لم يكن الخليفة على الإطلاق قوة غير متناهية كما ليس لخليفة وجود غير متناه على ما تقرر في مب 7 ف2 ينتج أنه ليس لخليفة أن تخلق<sup>3</sup> ، لما نرى تغير الأجسام والحركات والزمان في كل الموجودات التي تصدر في الواقع فإنه يبدو لنا تلقائيا ومن أنفسنا أن هناك فكرة الخلق وهذه الفكرة ليست لخليفة مخلوقة أن تخلق لأنها يمكن أن تزول بل الخالق وهو الله.

هو أن الله بكماله المطلق ولا نهايته المطلقة أما إرادته المطلقة ينتج المطلق ذلك أن شروط الخلق تحققت وهو أن الخلق للكل ولكنه خلق من العدم وأن الإرادة قد اقتضت الخلق والإرادة قد اقتضت الخلق لأنها أرادت ذلك لا لشيء آخر<sup>4</sup> ، هنا أن كمال ونهاية المخلوقات والأشياء لم تكن موجودة بإرادة الله وهبها الوجود ولا صلة بين الله والموجودات بين هناك صلة بل الموجودات والله وهي تتلقى الوجود دون تغير الله . فالله يؤكد فعل الخلق، أو فعل الخالق الذي خلق به الأشياء تماما مثلما يؤكد تعريف وجوده<sup>5</sup> ، أي من خلق الله للسماوات والأرض وغيرها يؤكد صفة الخلق عنده كما يؤكد وجوده من الموجودات وتغير حركتها في كل زمان ومكان.

<sup>1</sup> ماهر عبد القادر محمد وحربي عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى ، ص431.

\* الخلق: الخلق خلقان: خلق تقدير وهو الذي يتقدم الأمر الإلهي كما قدمه الحق وآخر الأمر عنه فقال تعالى: "ألا له الخلق والأمر"

الأعراف: الآية 54، والخلق الآخر بمعنى الإيجاد وهو الذي يساوي الأمر الإلهي وإن تقدمه الأمر الإلهي بالرتبة فالأمر الإلهي بالتكوين بين حلقين تقدير وخلق إيجاد فما تعلق الأمر هنا بخلق الإيجاد ، ينظر إلى رفيق العجم : موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص330.

<sup>2</sup> توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية (المجلد 1) ، ص551.

<sup>3</sup> نفسه ، ص553.

<sup>4</sup> عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى، ص156.

<sup>5</sup> إتين هنري جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص111.



# الفصل الثالث:

مقارنة بين القدرين نو ما اللاكويين والسيخ

اللاكبر محي الدين ابن عربي.

– البحث الاول: الجانب النظري

– البحث الثاني: الجانب العملي

– البحث الثالث: أوجه الاختلاف والتعابه

بما أن القديس توما الأكويني عقلاني صرف والشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي روحي هذا ما يدعي إلى تكامل العقل والروح ، فالأكوييني دعا إلى تجديد الخطاب اللاهوتي من خلال تطويعه للفلسفة الأرسطية مع معتقداته الإيمانية جاعلا من الفلسفة والعقل أداتين في يد الإيمان في حين نجد أن ابن عربي يقدم منظومة رمزية للرؤيا العميقة التي ليس بالإمكان تحصيلها إلا بإلهام الحق تعالى فهي علوم لا يستطيع العقل الوصول إليها ومن هذا المنطلقين لكلا الفيلسوفين نستطيع أن نتساءل ما هما أوجه التشابه وأوجه الاختلاف ؟.

### المبحث الأول: الجانب النظري:

أ. من حيث المصدر: لما نتكلم عن القديس توما الأكويني والفيلسوف ابن عربي فنجد أن هناك ديانتين: مسيحية وإسلامية ومنه يجب علينا التفكير في مصدر كل ديانة.

إنه بين المسيحيين والمسلمين يوجد إمكان حقيقي لتفاهم الديني المتبادل " في العبادة المشتركة للإله الواحد" ولهذا يمكن للكنيسة ، بل يجب عليها أن تعترف بالإسلام ومكانته الاعتبارية المستقلة كديانة توحيدية<sup>1</sup> ، ومن هذه الكلمة الواحدة نجعل تهيئة أرضية طيبة لحوار لاهوتي بين الديانة المسيحية والديانة الإسلامية وذلك بتغيير موقف الكنيسة الكاثوليكية تجاه الديانة الإسلامية.

يعتبر القديس توما الاكويني المرجع الأول والأدبي للكنيسة الكاثوليكية ربما حتى عصرنا الحاضر ولازالت أفكاره في المعاهد والكلليات<sup>2</sup> ، فقد جعل الكنيسة تقوم على مبادئه الاقتصادية والسياسية واتحادات العمل ، وتنظيم الأسرة وغير ذلك من الموضوعات، كما أن الكنيسة، الإنجليكانية تدين له بالكثير من الأفكار التي تركت أثرها فيها إذ أن الفضائل الإنسانية سبعة لدى توما الاكويني.

وبذلك تكون الفضائل الأساسية سبعة "الحكمة ، ضبط النفس، الشجاعة، العدل ، الإيمان، الرجاء، المحبة"<sup>3</sup> فهذه الفضائل وهبها الله للإنسان عن طريق الإعلان الإلهي والكنسية والفرائض هذه هي فضائل اللاهوتية .

أما عن الفيلسوف ابن عربي فقد: اعتمد على القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وإعتمادها لتقوية وتأكيدها ما يطرحه إلى جانب القرآن والفناء وإتجاهه صوب الحب الإلهي<sup>1</sup> ، فبالقرآن و الأحاديث ارتبط ابن عربي مع خالقه وإتحدث

<sup>1</sup> أليكسي جور افسكي: الإسلام والمسيحية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت (د.ط) ، 1978، ص110.

<sup>2</sup> فايز فارس: الأخلاق المسيحية ، ص44.

<sup>3</sup> نفسه ، ص46.

ذاته مع الله وهذا الكلام لا بد انه كفر بالنسبة للأمة الإسلامية ، فالله تعالى واحد بالإجماع ومقام الفناء هو محور النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه وتعالى ، وهنا اتحاد المراد الديني الأمر بين العبد وربّه لا المراد الكوني وكل مراد ديني ينتهي ويصبو إلى الحب الإلهي.

فهو يفرق بين العالم الذي يكسبه الإنسان من العلماء وبين العلم الذي يهتدي إليه من الله والعلم الثاني يفوق الأول ، لأنه جاء عن طريق الذوق للحقائق وإدراك الأسرار ، أما الأول فليس إلا صفات معلومة وسطوراً مركومة ، وهو يلوم قومه لأنهم لا يبحثون حديثه فيدركون صدقه ويعرفون أن علومه موهوبة وعلومهم مكسوبة ، وفرق بعيد بين العلم الوهبي والعلم الكسبي<sup>2</sup> ، فبهذا نرى أن الله لا يهب علمه إلا لقوم خشعوا وتخلقوا بصفات المؤمنين الذين يقول في حقهم: رحماء وهذه الرحمة تكون بينهم وسيجدون الله بغية رضاه وفضله إذن مصدر ابن عربي في الدين الإسلامي هو القرآن والأحاديث. فمحبة الإنسان مصدرها عند توما الأكويني: ترتبط ارتباطاً عضوياً بمحبة الله ، كما يستحيل إنماء المحبة البشرية تجاه الآخرين من غير محبة الله، الله هو محبة ومنهل المحبة<sup>3</sup> ، يتبين هنا أن وجوب الإنسان حب الله أولاً ثم يحب الآخرين وبدون حب الله لا توجد محبة للإنسان في الآخرين.

أما مصدر المحبة عند ابن عربي: ويعد ابن عربي من المتصوفة الذين جعلوا من القلب مصدر معرفته سبحانه منطلق من قول رب العزة في الحديث القدسي: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن<sup>4</sup> ، فمعرفة الله ووجهه عند ابن عربي تكون بالقلب والاستعداد الروحي شرطاً أساسياً لتحقيق معرفة الله في القلب ، فبه تتم معرفة الله ، فهو قلب إذن بما يعرف من معرفة إلهية وهو في الوقت نفسه موضع مكاني ومحل له سبحانه وتعالى تسكن فيه معرفة الله وحياة القلب كلها أصلاً تتجلى في معرفة الله وبه وإليه وله .على عكس توما الأكويني الذي يقر بالعقل ، لا بد أن يكون قد سبق في العقل أن العقل خير، وهكذا يكون العقل أعلى مطلقاً ، ولكن قد يكون موضوع الإرادة موجوداً أعلى من العقل ، ففي هذه الحالة تكون الإرادة أعلى بالإضافة ، من حيث أنها تميل إلى الموجود نفسه ، وإن العقل حاصل على صورته فقط ولذا كانت محبة الله أفضل من معرفته، وكانت على العكس معرفة الماديات أفضل من محبتها<sup>5</sup> ، فالله هو الذي يحرك الإرادة فينا وهذه الإرادة تكون عقلائية لمعرفة الخير من الشرير وبذلك وجب حب الله ومعرفة الماديات حسب طبيعتها بشكل عقلائي.

<sup>1</sup> نظلة احمد الجبوري: سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، ص124.

<sup>2</sup> عبد الحفيظ فرغلي علي القرني: الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي سلطان العارفين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) 1986، ص118.

<sup>3</sup> جورج منزيدي: الأخلاق المسيحية، ص116.

<sup>4</sup> نظلة احمد الجبوري، سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة ، ص147.

<sup>5</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ص159.

## ب. من حيث المفهوم:

ذكر القديس توما الاكوييني في مواضيع كثيرة الحب والمحبة بإعتبارهما مفهومين هل لهما نفس التعبير والمقصد أم أنهما مختلفين:

يظهر أن المحبة هي عين الحب فقد قال دبونيسوس في الأسماء الإلهية 4 مقام 9: "إن نسبة المحبة إلى الحب كنسبة الأربعة إلى الاثنتين المكررين والمستقيم الخطوط إلى ذي الخطوط المستقيمة" وهذه الأشياء تدل على واحد بعينه ، فإذا المحبة والحب يدلان على واحد بعينه<sup>1</sup> ، إذ أن هذا ما يؤكد أن الحب والمحبة مفهومان مكملان لبعضهما البعض في نظر توما الاكوييني وأن هذا الشعور الحسي يكون للواحد فقط.

في حين نرى عند ابن عربي الفرق بين الحب وذل المحب وتجلي في قوله : ولما كان الحب من صفات الحق حيث قال: (يحبهم) ومن صفات الخلق حيث قال: (ويحبونه) ، إتصف الحب بالعزة لنسبته إلى الحق ووصف الحق به ، وسرى في الخلق بتلك النسبة العزية ، فأورث في المحب ذلة من الطرفين ، فلهذا ترى المحب يذل تحت عز الحب لا عز المحبوب ، فإن المحبوب قد يكون مملوكا للمحب مقهورا تحت سلطانه ومع هذا تجده يذل له المحب ، فعلمنا أن تلك عزة الحب لا عزة المحبوب<sup>2</sup> ، مهما يتذلل ويقهر نفسه لله فإن هذا الذل والقهر يؤدي إلى مرضاة الله وفي النهاية تكون قد حصلت على حب الله".

إن الله لا يطلب من الإنسان شيئاً واحداً ، إنما يطلب وجوده كله ، فإتمام الوصية الأولى والعظمى التي هي وصية المحبة لا تتم بتنازلات بل بتقديم جامع للنفس ، الإنسان مدعوا إلى أن يحب الله محبة مطلقة وجامعة<sup>3</sup> ، هذا ما سئل عليه المسيح في العهد القديم: ما هي أعظم وصية في الشريعة؟، أجاب: أحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل عقلك وأن تكون المحبة كاملة بين الإنسان وربه وأن تحب قريبك مثلما تحب نفسك.

فالحق محب محبوب ، فمن حيث هو محب ينفعل لتأثير الكون ، ومن حيث هو محبوب يبتلى والعالم أيضا محب لله محبوب لله ، فمن حيث هو محب الله يبتلى لأجل الدعوى فيتضح صاحب الدعوى الكاذبة ويظهر صاحب الدعوى الصادقة ومن حيث أنه محبوب يتحكم على محبته فيدعوه فيستجيب له ويرضيه فيرضي ويسخطه فيعفو ويصفح مع نفوذه قدرته وقوة سلطانه إلا أن سلطان الحب قوي<sup>4</sup> ، فبهذا كانت دعوة الله لأحبابه لمعرفة الكاذب من الصادق وذلك بابتلاء عباده وبيّن محبته بالصفح عليهم لأن قوة الحب تفوق كل الذنوب رغم التألم والانشغال الموجود بين المحب والمحبوب.

<sup>1</sup> توما الاكوييني: الخلاصة اللاهوتية (مجلد3) ، تر: الخوري بولس عواد ، المطبعة الأدبية، بيروت، (د.ط.)، 1861، ص459.

<sup>2</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، ص29.

<sup>3</sup> جورج منزريدي: الأخلاق المسيحية، ص111.

<sup>4</sup> ابن عربي: الفتوحات المكية (ج7)، ضبط وتحقيق: احمد شمس الدين ، دار الكتاب العلمية، بيروت، (د.ط.)، (د.ت) ص53.

## ج- من حيث العقيدة:

سوف نبرهن على عقيدة كل من الديانة المسيحية والديانة الإسلامية على حد رأي كل من القديس توما الأكويني والفيلسوف ابن عربي.

جوهر العقيدة المسيحية نعم دون زيادة و نقصان ، إن المسيحيين يعتقدون ويؤمنون كما ورد في البيبل أن الله لفرط محبته للبشر أعد لنا طريق النجاة وذلك بان أرسل إلى العالم ابنه الوحيد لكي يكون الفداء بموته الكفاري على الصليب<sup>1</sup> يؤكد هنا المسيحيين على أن محبة الله القوية دفعت به إلى التضحية بابنه الوحيد لكي يحررهم من عبوديتهم ويبرئهم أمام الله إضافة إلى النتائج التي قدمت في العهد القديم ، وكانت رمزا أو إشارة لموت المسيح لنيل غفران الله .

أما عن عقيدة ابن عربي فحالتها كحال الدين الإسلامي: ليس في عقيدة ابن عربي تغيير لعقيدة التوحيد الإسلامي وليس من السهل الحكم على رجل كابن عربي بأنه لم يغير عقيدة التوحيد الإسلامي وهي "لا إله إلا الله" ، وهو الذي كان يعظم الشريعة أيضا تعظيم ولكنه يقرر: "أن الحق ثابت في ألوهيته قبل إثبات المثبت ومن كان ثابت لا يحتاج إلى إثباتك إذا ما تم من ثبت أولوهيته من الخلق حتى يفنى ، وإنما تعبد المؤمن بذلك على سبيل التلاوة ليؤجره على ذلك<sup>2</sup> .

فعقيدة ابن عربي تتمحور أسسها على كلمة الوحدانية للواحد الله غير أنه يقر بأن الله ثابت في ألوهيته ومن كان ثابتا لا يحتاج إلى إثباتك غير أنه يعبد بتلاوة القرآن ليؤجر عليه.

لا شك أن نتاج القديس توما الفكري الكبير هو الحملة اللاهوتية لا تزال الفلسفة تبدو وفيها في خدمة فكر يحركة الإيمان ينطلق من الله ويمر عبر الإنسان والأخلاق لينتهي مع يسوع المسيح والخلص<sup>3</sup> ، هنا تبدأ عقيدة توما الأكويني بيسوع المسيح هو الذي مسحه الله وأرسله إلى العالم وتنتهي عبوديته أو عقيدته في فكرة الخلاص وهي الانتهاء إلى الحياة الأخرى الآجلة.

ولهذا كان لعقيدة البعث لدى ابن عربي موقع وأثر كبيران في طمأنة الإنسان وأمنه ، تميزه بوجودان منفتح ، يأمل في الأبدية ، ويقودنا إلى عقيدة البقاء المرتبطة بانكشاف حقيقة الذات بإطلاعها على الحقيقة المتصلة بالإنسان<sup>4</sup> .

وبهذا يؤكد ابن عربي أن الموت يصبح تأكيدا للبقاء حيث أن الله لا يعدم هذه النشأة فالمسمى موتا يفرق بين الحياة الانسانية والحياة الآجلة أي بعد الموت وبذلك تكون علاقة بين الحياة الأولى والحياة الأبدية الثانية.

<sup>1</sup> محمد حسن عبد الرحمن: براهين تحتاج إلى التأمل في ألوهية المسيح، دار الكتاب الحديث ط1، 1989، ص126.

<sup>2</sup> عبد الحفيظ فرغلي علي القرني: الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي سلطان العرفين، ص11.

<sup>3</sup> دومنيك فولشيد: المذاهب الفلسفية الكبرى، تر: مروان بطش، جميع الحقوق محفوظة ط1، 2011، ص47.

<sup>4</sup> هالة العوري: الفناء في الإنسان كبار الصوفية، ص111.

المبحث الثاني: الجانب العملي.

أ- إرتباط المحبة بالعمل:

في وسط هذا الارتباك والخلط تقدم لنا المسيحية الأرثوذكسية جواباً فريداً ، لأنها تضع الإنسان في نطاق الحرية الشخصية التي تتجاوز كل حتمية مادية أو بيولوجية أو اجتماعية دنيوية.

فالإنسان هو خلق الله الذي أبدعه بحريته ومحبه من العدم ليكون على صورته ومثاله، هكذا يرتفع الإنسان المخلوق كيانا إلى الإله اللامخلوق والأبدي الذي هو محبة<sup>1</sup> ، ولأن المحبة سمة الهبة في الديانة المسيحية ولحبته خلق الإنسان على صورته حباً له وبهذا النموذج أوجد تعامله.

أما في الدين الإسلامي ففي رأي ابن عربي: ليس كمثل شيء ، ناهيك عن أن إثبات الذات وفق الأدلة العقلية لا يمكنه أن يولد حباً ، بينما معرفة الله ومحبه ممكنة ومتاحة في وجداننا وفي ما نحسه منه داخلنا ، فنجعله نصب أعيننا وفي قلوبنا وفي خيالنا كأننا نراه<sup>2</sup> ، أي أن حب الله يكون داخل ذاتنا ونعمل على حبه بحواسنا بالأعين والقلوب والخيال كأننا نرى هذه الذات الإلهية.

يستلزم محبة الله العمل بمشيئته، المحبة الحقيقية ليست نظرية ، فمحبة كهذه كاذبة ماكرة ، أما المحبة الحقيقية لله فتتجلى من خلال العمل بمشيئته<sup>3</sup> ، هنا يوصي ابن عربي بالعمل بمشيئة وإرادة الله هذا ما يجعل النفس البشرية صحيحة وسليمة ويجب أن تعمل على جعل المناخ والجو الملائم لأنها هي المحبة الحقيقية.

الحب كالمعرفة هو في ذاته منحة ربانية ، وليس شيئاً ينال ولو أن الخلق جميعاً أرادوا تحصيل الحب ما استطاعوا، ولو جهدوا غاية الجهد في صرفه ما وسعهم ذلك ، ومحبو الله يحبهم الله<sup>4</sup> ، هنا مثل الحب بالمعرفة فمعرفة الله أسبق من معرفتنا له في حين أن محبة الله أسبق من محبتنا له ومن هنا نستنتج أننا لن نستطيع أن نصبو الحب المطلق لنا من الذات الإلهية إلا أننا لو عملنا جاهدين لما وصلنا إلى تحقيق الحب الكامل ، لأن حب الإنسان ما هو إلا نتيجة حب الله.

توما الأكويني: في رأيه للنعمة الإلهية: النعمة الإلهية ضرورية لنا اليوم حتى نحب الله أكثر من أي شيء آخر فإن ذلك لا يعني أن طبيعتنا عاجزة وحدها ، على الوصول إلى تلك الغاية وهي أن حب الله أكثر مما نحب الأشياء جميعاً<sup>5</sup> ، فلا

<sup>1</sup> جورج منزريدي: الأخلاق المسيحية، ص11.

<sup>2</sup> هالة العوري: الفناء في الإنسان كبار الصوفية، ص115.

<sup>3</sup> جورج منزريدي: الأخلاق المسيحية، مرجع سابق، ص12.

<sup>4</sup> ر.أ. نيكلسون: الصوفية في الإسلام: تر: نور الدين شريعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 2002 ، ص109.

<sup>5</sup> إتين هنري جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص109.

نستطيع أن نحب الطبيعة أكثر من حب الموجودات لأننا يجب أن نعمل على حب خالق الطبيعة وهو الله وهي الغاية التي يسمو إليها المحبوب في محبه.

أما ابن عربي: في المحبة في الطبيعة يقول: إن الحركة أبدا إنما هي حبيبة ، ويحجب الناظر فيها لأسباب أخرى ، أما المحب العارف فله شأن آخر، فهو حي لا يموت، روح مجردة ، لا خبر للطبيعة بما يحمله داخله<sup>1</sup> ، فهذا فالحب خلق ، والخلق حب والحركة في مظاهرها مبعثها الحب وشوق الخلق إلى الخالق وحنين الحق في جوهره إلى التحلي وهذا الحب الإلهي مصدره الله وحده.

وحب الصوفية في الإسلام وفي المسيحية ، قد انقلب إلى انجذاب ، وحماس ، بسبب الوقوع تحت تأثير "يونيسوس" وغيره ، من كتاب الأفلاطونية الحديثة ، ذلك الانجذاب الذي وجد في الخيال الحسي، للحب البشري ، خير ووسيلة للتعبير عن نفسه<sup>2</sup> ، فيكون الحب الإلهي في الإسلام والمسيحية وللدلالة على ذلك بالحب البشري الذي يقدمه من انجذاب وحماس وشوق لرؤية المحبوب وذلك من خلال الخيال الحسي الموجود داخل الذات البشرية من خلال التعبير عن نفسية كل محب.

#### ب - التطبيق العملي للمحبة في الحياة:

كيفية تطبيق المحبة العملية في الحياة بين توما الأكويني وابن عربي: فالله يريد ذاته على أنه خير وغاية والله يريد غيره فإن من شأن الخير أن يشرك غيره في خيره وهذا بالخصوص من شأن الخيرية الإلهية ، على أن الله يريد ذاته بالضرورة ، لأنها الموضوع الخاص المعادل لإرادته ويريد بالاختيار، لأن هذا الغير لا يريد الخيرية الإلهية شيئا من الكمال ، ولكنه موجه إليها على أنها غايته القصوى ويبقى أن نتصور الاختيار الإلهي بالمماثلة ، فننفي عنه ما يلابس اختيارنا من تردد وتغير ونقص، وهكذا يجب أن نضع بصدد سائر الصفات التي نثبتها لله، كالقدرة والمحبة والعدل والرحمة وما إليها<sup>3</sup> ، فحب الله يتجلى بداية بحب الله وعطائه من خيرات لغيره في حين يريد نفسه أن يكون غاية فينا وأن نشترك في الخير كله ولأن الخيرات الإلهية لا تحمل شيء من الكلمات وان صفة الكمال من صفات الله وحده في حين هناك صفات تزيد وتنقص في الانسانية كالقدرة والمحبة والعدل والرحمة وهي صفات إلهية تتشارك فيما بيننا معه وذلك لتطبيقها في الحياة وغايتها الوصول إلى الله.

قمة الحياة الروحية التي عاشوها فرأوا أنها تتحقق باتصال السالك بربه عن طريق حبه وصرح ابن عربي أنها تقتزن بوصول العبد إلى حين القرب من ربه حتى يتحقق بوحدته الذاتية مع الله فيبدوا له الوجود كله حقيقة واحدة<sup>4</sup> ، بالحب

<sup>1</sup> هالة العوري: الفناء في الإنسان كبار الصوفية، ص103.

<sup>2</sup> ر.أ. نيكلسون: الصوفية في الإسلام ، ص109.

<sup>3</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص150.

<sup>4</sup> ابن عربي: الكتاب التذكري، ص172.

الروحاني عند ابن عربي تجلت فيه وصول العبد إلى ربه والسالك هنا نعني به السائر إلى الله ويتحقق الوصول إليه بتحقيق الوحدة مع الله ، بأن الله أوحده واحد لا شريك له في ألوهيته.

أما الحب التطبيقي عند توما الأكويني من طرف الخير الإلهي: حين تحب أي خير جزئي مهما كان نوعه فإن ذلك يعني باستمرار أنك تحب مماثلته للخير الإلهي ، فالخير الإلهي هو الأصل ، وكل خير جزئي فهو شبيه به ، ولهذا فإن لكل حب لأي خير جزئي هو حب للخير الإلهي<sup>1</sup> ، فمن المحال أن يحب الإنسان الصورة دون أن يحب الأصل ، وإذا عرفنا أن الصورة ما هي إلا صورة فأنت تبقى دائما بينك وبين ذاتك تبحث وتفصل معرفة الأصل ، فحين يحب المرء نفسه فطبيعي أنه يحب مماثلة أعني أن يحب الله نفسه.

في حين الحب التطبيقي عند ابن عربي: فالحب العارف لا بد أن يفارق الجمال المقيد نحو الجمال المطلق برؤية جمال الحق في الأشياء لا يحول عليه ، فإن الكمال والتمام للحب الإلهي ، فهو موجود على الدوام وتبادل بين الحق والخلق<sup>2</sup> والحب العارف هنا نعني به هو الذي بذل مجهوده في الله وحقق معرفته بالله وصح رجوعه من الأشياء إلى الله وأن يعمل في الدنيا ويحب الله ويؤجر عليها الآخرة .

وفي المسيحية : يقدم في الوقت ذاته المحبة بكونها الإمكانية الفريدة التي تعبر عن هذا الواقع أي بكونها القانون الفريد للخلق الحقيقي فيتجلى شخص الإنسان في الكنيسة وحلقة الاسراري<sup>3</sup> ، فالمؤمن في كنيسته يحب المسيحية ويتجاوز فردانيته ويحيا بتجاوز هذه الفردانية وعندما يشترك في حياة المسيح يصبح متميزا.

بينما الحب التطبيقي عند الصوفية من بينهم ابن عربي: هو العنصر العاطفي في الدين هو سكر المشاهدة وشجاعة الباذل وإيمان الولي ، والأصل الأصل للتحقق الخلقي والإدراك الروحي هو عمليا نبد النفس وتضحيتها والتخلي عن كل مملوك من مال أو جاه أو إرادة أو حياة ، وعن كل ما يضمن به الناس لوجه المحبوب دون تفكير في جزاء<sup>4</sup> ، فالحب الإلهي هو المبدأ الأعلى في الأخلاق عند الصوفية فهو دواء لداء الكبرياء ولغزو النفس وهو الطبيب لضعفنا كله سكر المشاهد هو المقصود به التميز لمشاهدة المحبوب وشجاعة الباذل المقصود بها أهات الأخلاق وأصولها الأربعة: الحكمة ، الشجاعة، والعظمة والعدل ، أما فيما يخص إيمان الولي فهو مفرد لأولياء الله عز وجل والأصل الإيمان والتقوى هو الإيمان يرسل الله وجماع ذلك الإيمان بخاتم الرسل ﷺ وبهذا يتخلى الإنسان المحب عن كل ملكوت الدنيا والنظر إلى ما يرضي الله وحده.

<sup>1</sup> إتين هنري جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص353.

<sup>2</sup> هالة العوري: الفناء في الإنسان كبار الصوفية، ص123.

<sup>3</sup> جورج منزيدي: الأخلاق المسيحية، ص12

<sup>4</sup> ر.أ. نيكلسون: الصوفية في الإسلام ، ص05.

فالمحبة عند توما الأكويني: كما يفهم التعليم الخلقى في أي منهج فلسفي ، فهي تبحث عن أسس حياة الإنسان في المسيح الذي يحيا شريكه في حياة الله بالإيمان والرجاء والمحبة<sup>1</sup> ، هذا ما يثبت أن الأخلاق تعتبر من أسس حياة الإنسان في المسيح وذلك بالتجلي إلى الأخلاقيات التالية مثل: الإيمان والرجاء والمحبة ، في حين انتهى ابن عربي: إلى وحدة الشهود التي تحققت بالفناء الذي ينكشف فيه للسالك بالتوحيد بمعناه الصوفي ، بعد استغراق الحب في محبوبه وفنائه فيه كي لا يرى غير الله<sup>2</sup> ، ولقاء المحبوب في محبة الله وذلك بالعمل بتعاليم محبوبه ، حبا له وكسبا لمرضاه لا خوفا من ناره ولا طمعا في نعمه هذا هو الحب الروحاني والحب الإلهي لمرضاة الله.

<sup>1</sup> جورج منزيدي: الأخلاق المسيحية ، ص20.

<sup>2</sup> ابن عربي: الكتاب التذكري ، ص163.

## المبحث الثالث: أوجه الاختلاف وأوجه التشابه:

## أ- أوجه الاختلاف:

دعا الأكويني إلى تجديد الخطاب اللاهوتي من خلال تطويعه للفلسفة الأرسطية لتنسجم مع معتقداته الإيمانية جاعلا الفلسفة والعقل أداتين في يد الإيمان:

يلجأ الأكويني إلى الدليل الأرسطي المشهور، ولكنه يستخدمه بشيء من الابتكار حيث يبين أن الحركة الواحدة المتصلة والجارية على نمط مطرد لا تصدر عن محركين ، لأنهم إن حركوا معا فلا بد من وجود فاعل ينظم الحركة بينهم ، ويكون هو المحرك الأول ، وإن لم يتحركوا معا فلا بد أن يكون كل واحد منهم يحرك تارة ولا يحرك أخرى ، ويلزم عن ذلك أن تكون الحركة متقطعة وليست متصلة أو مطردة فالحركة المطردة الواحدة المتصلة لا تصدر إذن إلا عن محرك واحد ، وبهذا فالله واحد<sup>1</sup> ، فيجب تثبيت العقل فلسفيا على التحلي بالصفات الإيمانية لأن رؤية العالم من العقول المتعددة تختلط في تحلي نظامه ومن رؤية العالم لنظامه دليل على أن له محرك واحد وهو الله ولذلك أصبح من المعقول وضع العقل في يد الإيمان وذلك من الأدلة العقلية إلى الأدلة النقلية.

وأرسطو لم يوضح أصلا ما الصلة التي يمكن أن تقوم بين هذه العقول المحركة ونظامه قابل للحياة سواء أفهم على أنه توحيد تتبع فيه جميع العقول لعقل واحد ، أم على أنه شرك تفعل فيه جميع العقول فعلها بالتضافر وإنما باستقلال عن بعضها بعضا<sup>2</sup> ، فهذه العقول عند توما الأكويني هي عقول مفارقة لا عقول ذو صور محضة ونحت من قبل نعرف أن كل مخلوق ينطوي على نمط من التركيب مباين لنمط تركيبه من الصورة والهيولي ، وهي تركيبية تعني بها من الماهية والوجود وهذان الحدان لا يتطابقان إلا في الله وحده ومنه نستطيع التمييز بين الماهية والجوهر.

يقول: هناك من يحاجي بغلطة ليثبت أن الله لا يستطيع أن يعمل على أن يكون هناك عدة عقول من نوع واحد بحجة أن يستجر ، على ما يعتقدون تناقضا ، لكن لو سلمنا أنه ما كان في طبيعة العقول أن يتكثر، فلن يلزم على ذلك ضرورة أن هذا التكثر يستجر تناقضا<sup>3</sup> ، وهنا يتضح لنا أن القديس توما الأكويني لا يتردد أن يأمر العقل بالإقرار وبحدوده والتوجيه في إقباله بكلية القدرة الإلهية المؤكدة على الإيمان.

اسم التوماوية الجديدة التي يزعم أصحابها أن التراث الرئيسي في الفكر اليوناني قد استمر وتطور تطورا مشروعا نحو مذهب الاعتقاد في الله على يد إتباع أرسطو في العصر الوسيط ، وأن هذا التراث لم يصبح عتيقا بظهور الفلسفة الحديثة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الأكويني، ص60.

<sup>2</sup> أميل برهيه: العصر الوسيط والنهضة ج3 ، ص60.

<sup>3</sup> نفسه ، ص193.

<sup>4</sup> إتين جلزون: روح الفلسفة المسيحية، ص16.

من هنا نفهم نظرية توما الأكويني للمعرفة تحل المشاكل والصعوبات التي أثّرت منذ ديكرت حتى الآن ، وان يتبين أن نظرية المعرفة تبرر الاتجاه الرئيسي في كل من الميتافيزيقا الأرسطية والميتافيزيقا التوماوية.

يبقى اللاهوت في مكانه الخاص في قصة سلم العلوم ، ولما كان يقوم على الوحي الذي يستمد منه مبادئه ، فإنه يشكل علما يبدأ من الإيمان ولا يستعين بالعقل إلا لكي يعرض مضمون الإيمان ، أو لكي يحميه من الخطأ والفلسفة بغير شك تابعة للاهوت<sup>1</sup> ، لما كانت الفلسفة متقيدة بمذهبها الخاص على أساس العقل البشري ترجع حقيقتها إلى الوضوح الذاتي بمبادئها وبغير شك تصل إلى الاتفاق مع الإيمان بطريقة تلقائية دون أن تجد نفسها مضطرة إلى ذلك وبذلك لا يمكن أن تكون ثمة تناقص بين الفلسفة والدين حيث نجد أن معظم فلاسفة العصر الوسيط استخدموا العقل في فهم تفسير النصوص والمعتقدات الدينية.

أما ابن عربي فقد إحتل الرمز عنده وفي كتاباته مكانة كبيرة حتى استدعى ابن عربي أن يوضح معانيه في بعض

الأحيان:

قول ابن عربي:

تدرع لاهوتي بناسوتي

وحصل موسى اليم ثابوتي

فمن قال عني إنني العبد

وقد صح أي الملك الفرد

قرب عليم غره الحجد

فانظر غيرتي فيك وتبتي

على عرش تنزيهي عن القوتي<sup>2</sup>.

فهو يصرح هنا بأن الحلول ليس شبيهاً بوصول الجسم بالجسم ، أو العرض بالعرض ، أو العلم بالعلوم ، أو الفعل بالمفعول ، بل هو الوصول أو الاتحاد متخيلاً أكثر من حقيقتها وهو يشاهد محبوبه بالقرب منه على نحو واضح وكأنه يشاهده حقاً بعينه ، ويشعر بلذة الوصال بتجربته أحسن من الوصال الجسماني.

<sup>1</sup> إتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية ، ص32.

<sup>2</sup> محمد عباس: مجلة حوليات التراث، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، العدد:10، (د،ط) 2010، ص12.

ألا يا حمامات الأراكة والبان	ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني
لقد صار قلبي قابلا كل صورة	فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف	وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب الذي توجهت	ركائبه فالحب ديني وإيماني <sup>1</sup>

لم يكن مقصود محي الدين ابن عربي بكل الأديان بل يتجلى من خلال الأبيات أن الأديان التي يعتبرها كلها وسائط لحب الذات الإلهية وهي أديان أهل الكتاب: اليهودية والمسيحية والإسلامية وهذه الأديان في نظر ابن عربي خلاصتها دين واحد تطور عبر العصور إلى أن تطور واستقرّ في دين الإسلام.

توما الأكويني يسعى لتحقيق أكبر قدر ممكن من الوضوح والدقة من حيث أنه عقلائي صرف: ويعد خلق الله لهذا العالم نوعا من أنواع الكشف الإلهي أو الوحي وهذا الكشف يعد نوعا من البرهان العقلي حيث أن هذا العالم بصورته ، وما فيه ، ومن فيه يمكن أن يدركه القوى العقلية البشرية ، فهو بمثابة كتاب مفتوح يستطيع أن يقرأ فيه العقل البشري<sup>2</sup> ، إذ من هنا يتطلب منا أن توما الأكويني عقلائي صرف حتى في دراسته للكتاب المقدس ومعرفته لله كانت معرفة عقلانية بحتة ولذلك شبه قواه العقلية البشرية بأنها كتاب لقراء العقل البشري وهو يبرهن على وجود حقائق إيمانية بالفعل ، في حين يحتاج إلى تفكير على كل عقلي بشري.

تمثل الحل الأكويني في تقبل الفلسفة الأرسطية مهما كانت وتطويعها أو تشكيلها بطريقة لا تتعارض مع الدين وبأسلوب توفيقى فريد لا تتصادم مع الكنيسة<sup>3</sup> ، اضطر الأكويني إلى رفض بعض النقاط وحذف بعضها بحيث أن تتفق المعتقدات الدينية المسيحية فمن بين الأفكار والنقاط الأرسطية التي رفضها توما الأكويني بأن العالم قديم وأبدي والنقطة الأخرى فكرة أرسطو عن المحرك غير المتحرك ، وهذه المحاولة التوماوية لم تقتصر على الطبيعيات فقط وإنما تشمل اللاهوت ما بعد الطبيعة.

عارض المواقف الماثورة من أوغسطين إلى بونا فتنورا ، تبعا لنظرية أخرى إلى العقل الإنساني والوجود أدت به إلى الفصل بين الفلاسفة واللاهوت مع إستباق الصلة بينهما<sup>4</sup> ، حيث عمل توما الأكويني على إعادة بناء استقلالية الفلسفة

<sup>1</sup> محمد عباسة: مجلة حوليات التراث ، ص13.

<sup>2</sup> ماهر عبد القادر محمد وحري عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى ، ص412.

<sup>3</sup> نفسه، ص 418.

<sup>4</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص166.

مبادئها ومناهجها وذلك بشرح أدلة أرسطو بحيث أصبحت الفلسفة آلة للاهوت فهي توجه وجهة جديدة وتوحي فيه ومن هذا بدأ التمرد على السلف وتحدي أوغسطين.

يقول: إن غاييتي هي أن أقرر الحقيقة التي تأخذ بما "العقيدة الكاثوليكية لكني ها هنا مضطر إلى الرجوع إلى العقل الطبيعي ، مادام الكافرون لا يؤمنون بصدق الكتاب القدس ، على أن العقل الطبيعي أداة ناقصة فيما يختص بالله <sup>1</sup> ، ففي منظور توما الأكويني أن هناك جزء ما يتفهمه للعقل وهناك جزء آخر لا يستطيع فهمه ولا البرهنة عليه في حين أن الوحي ليس فيه ما يضاد العقل، فالعقل لا يستطيع أن يثبت "الثالوث" و"التجسيد" و"لا يوم الحساب" فكل ما يمكن أن يصبو إليه العقل هي براهين متفقة مع العقيدة المسيحية.

في حين أن ابن عربي روحي ويتجلى ذلك من خلال التعبير عن مراميه شعرا ورمزا حيث عول على الإلهام والكشف الروحي:

حيث قال ابن عربي في حبه لله:

جميل ولا يهوى جلّي ولا يرى	وتشاهده الأبواب من حيث لا تدري
ولا تدرك الأبصار منه سوى الذي	تنزهه عنه عقول ذوي الأمر
وإن قلت محجوب فلست بكاذب	وإن قلت مشهود فذاك الذي أدري
فما ثم محبوب سواه وإنما	سلمى وليلى والزيانب للستر
فهن ستور مسدلات وقد أتى	بذلك نظم العاشقين مع النشر
كمحنون ليلي والذي كان قبله	كبشر وهند ضاق من ذكرهم صدري <sup>2</sup>

ابن عربي في هذه الأبيات يقارن بين حب الصورة الإلهية التي تكون كاملة وتامة في العبد وهي أعظم لذة وأقوى محبة في جناب رباب الله من حيث الجنس لان الجنس لا يمكن أن يكون سمعك وبصرك، بل يكون غاية مسموعك ومدركك فالعبد أكيد بالطبع يختار حبه لله لأن الله يسمع دعوة الداعي إذا دعاه على غير حب البشر الذي تضيق منه الصدور على حد قول ابن عربي في البيت الأخير.

التطهير عند ابن عربي ثلاث مراتب: تزكية النفس ، وتصفية القلب ، وتجلية الروح <sup>1</sup> ، فلتزكية النفس يجب على الإنسان التوبة والابتعاد على كل الأهواء ولتصفية القلب وجب الدعاء وكثرة الذكر وتجلية الروح يكتفي الإنسان بالإيمان الصوفي الذي يفتح أبواب الروح للإلهامات.

<sup>1</sup> برتراندرسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ص 331.

<sup>2</sup> ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية لابن عربي، ص 48.

يقول ابن عربي : لست أنسى إذا حدى الحادي بهم  
 يطلب البين ويتغي الأبرقا  
 نعقت أعز به البين بينهم  
 لا رعي الله غربا نعقا<sup>2</sup>

فشرح ابن عربي للبيتين: انه كانوا جالسين في الله تعالى ، وواحد منهم داعي الحق إلى العروج إليه، وقوله: "يغي الأبرقا" أي ابتغاء المكان الذي يقع فيه شهود الحق تعالى وسماه الأبرق ولما شبه الشهود الذي بالبرق لنوره وسرعة زواله وهنا كناية عن المكان أي مقصوده ومشاهدة البرق فهنا تتبين له الأمور بمشاهدة البرق للداعي.  
 توما الأكويني في البراهين العقلية غايته المنشودة لتوسيع العقيدة المسيحية والدفاع عنها وبناء لاهوت جديد على تقديم النص المقدس باستخدام أدوات العقل من خلال المقارنة بين العقل والنقل:

يستعرض القديس توما الأكويني هذه الأدلة العقلية ينتقل إلى الأدلة النقلية فيورد بعض آيات الكتاب المقدس التي تقر بوحدانية الله ومنها قول الكتاب المقدس: "اسمع يا بني إسرائيل أن الرب إلهنا إله واحد" وقوله أيضا "لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي" وأيضا "للجميع رب واحد وإيمان واحد"<sup>3</sup>، يثبت توما الأكويني من الأدلة القرآنية المذكورة بوحدانية الله في حين لما نتأمل في الأدلة العقلية فنجد أن وحدانية الله من ثلاث وجوه أولها البساطة وثانيها الكمال والدليل أو الوجه الثالث من العالم وبذلك فالله واحد لا ينقسم وهو عين وجوده القائم بذاته ولا يقبل الانقسام.

كانت التوماوية قد أخذت بمذهب أرسطو وطهرته وأكملته وجعلته أكثر دقة واكتمالا فإنها لم تفعل ذلك على الإطلاق بالاتجاه إلى الإيمان<sup>4</sup> ، اخذ توما الأكويني مبادئ العقلية وأثبتها بمبادئ نقلية بمناقشتها بفكر فلسفيا حين يدرك التوماويون أن العقل عند الرجل المسيحي لا يمكن أن ينفصل عن الإيمان في مجال ممارسته<sup>5</sup>، فإذا كان القديس توما يعلم ذلك فليس هناك ما يمنع الفيلسوف التوماوي أن يفعل ذلك.

من المؤكد أن الله لا يتناقض في أعماله وأن إله الإيمان هو نفسه إله العقل ، بيد أنه ينبغي النظر إلى الخليقة في حد ذاتها وفي استقلاليتها ، لقد خلق الله الإنسان على صورته ومثاله أي خلقه عاقلا وحرا وهبه الطبيعة مملكة له<sup>6</sup> ، أي أن لهذه الطبيعة قوانين ضرورية يمكن للعقل الطبيعي الذي تحكمه قوانين إلزامية يجب إتباعها وذلك من خلال الكتاب المقدس.

إن توما الأكويني يقرر أن بعض الحقائق التي يتوصل إليها الإنسان بالإدراك العقلي الطبيعي تحتاج للتدعيم والكشف عن طريق وحي السماء ، لأن الدلالة العقلية وحدها لا تكفي وإنما تحتاج لدعائم الإيمان ووفقا لآراء توما الأكويني نجد هناك

<sup>1</sup> محمد عباسة: مجلة حوليات التراث، ص13.

<sup>2</sup> نفسه، ص47.

<sup>3</sup> ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة توما القديس الأكويني ، ص61.

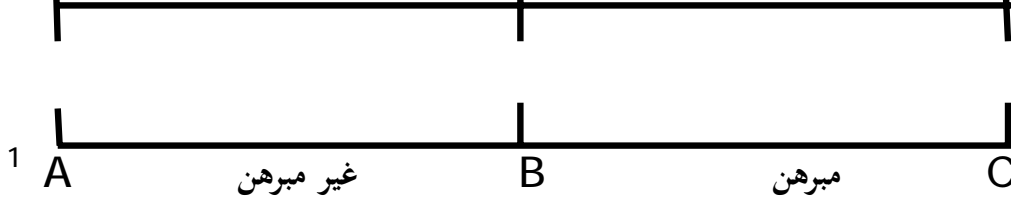
<sup>4</sup> إتين هنري جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص35.

<sup>5</sup> نفسه ، ص39.

<sup>6</sup> دومينيك فولشيد: المذاهب الفلسفية الكبرى، ص47.

نوعين من أنواع الكشف ، الأول: هو الوحي والحقائق المعقولة التي لا تحتاج ولا تتطلب الشك ، على الرغم من أنها غير برهنة ، والثاني: الكشف عن الحقائق العقلية التي يستطيع العقل البشري أن يبرهنها ويثبتها ويتضح ذلك ن التخطيط التالي:

الحقائق الإيمانية



من هذا المخطط يتضح أن: الجزء من (AC) تمثل حقائق إيمانية لكن الجزء (BC) هي حقائق عقلانية غير مبرهنة لكن ما نستطيع للعقل الإنساني معرفته مجمل المعارف سواء كانت إيمانية أم عقلانية والتي تتناول قضايا وجود الله ووجود الروح الإنسانية فبالحقائق الإيمانية يصبو الإنسان ويرتقي بالإيمان وأن يأخذ الإنسان الحقائق الإيمانية كمسلمات لا تقبل النقاش والجدل ، وهذا ما يثبته توما أن الحقائق كلها ذات معنى واحد ، وأن كل من الفلسفة والإيمان يجب أن يؤديان إلى نتيجة وحقيقة واحدة.

معرفة الله تعطي للعقل الحرية في أن يصدر في المسائل العقلية ما يراه من أحكام أما إذا تجاوزنا مجال الحقائق العقلية فعلينا بالحقائق الإيمانية كأساس<sup>2</sup>، فتوما هنا يعطي الدور للعقل على أنه قادر على تفسير الحقائق الدينية وقادر على إستيعاب ومعرفة الله.

ابن عربي يقدم منظومة رمزية للرؤى العميقة التي ليس بالإمكان تحصيلها إلا بإلهام الحق تعالى فهي علوم لا يستطيع العقل الوصول إليها باجتهاده الخاص وبالتعويل على أدواته وملكاته فقط كذلك لا يمكن للغة أن تصنف بدقة هذه الإلهامات ولا يمكن للخيرية الإنسانية العادية أن تعرف حقيقتها على نحو تام وكامل:

صنف ابن عربي كتب كثيرة ما بين منظوم ومثور من أهمها "الفتوحات الملكية" و"فصوص الحکم" الذي مزج فيه التصوف بالفلسفة و"ترجمان الأشواق" وهو ديوان شعر فيه معاني الحب الإلهي ولجأ في كثير من مصنفاته إلى الرمز تجنباً لانتقادات الفقهاء ممن يستقلون تأويل كلامه<sup>3</sup> ، مع كل هذا إلا أن ابن عربي أنتقد وأتهم من طرف أهم الظاهر بالكفر والإلحاد ومن أشهرهم ابن تيمية وابن حجر العسقلاني وإبراهيم البقاعي والذي صنف كتاب موحد لابن عربي بعنوان تنبيه الغبي إلى ابن عربي ، في حين الكثير من أهل العلم والتنوير قد أنصفوه وتأولوا لكلامه تأويلاً مقبولاً.

<sup>1</sup> ماهر عبد القادر محمد وحربي عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص410.

<sup>2</sup> نفسه ، ص212.

<sup>3</sup> محمد عباسة: مجلة حوليات التراث، ص14.

معرفة الله لدى ابن عربي هي معرفة ذوقية تارة وتارة هي معرفة كشفية وتارة معرفة إلهامية<sup>1</sup>، فالمعرفة الذوقية هي أول مبادئ التحليات الإلهية لدى ابن عربي وهي معرفة قلبية تنهض على التأمل الباطني، والتذوق الماس للمعارف الربانية ولا يمكن برهانها بالعقل وهي التي تعرف بالمعرفة الكشفية هنا تظهر الصلة الارتباطية الوثيقة بينها، وفيها يقترن الكشف بالمشاهدة أي الكشف يؤدي إلى المشاهدة بينهما والمعرفة الإلهامية هي التوفيق بين الحقيقة والشريعة عند ابن عربي لأن الله سبحانه لا يلهم نفس الصوفي بما هو مضاد للشريعة فبالإلهام تستقيم الأخلاق.

ابن عربي يوزع المواضع في النفس لمقام الله وتوفيقه توزيعاً خيالياً على نحو غير مستقر في كتبه فأحياناً يذكر خمس منازل متداخلة هي: النفس، القلب، الروح، سر السر، وأحياناً أخرى يذكر ستاً ولكن بألفاظ مادية لا نفسية كالتالي أوردناها في التوزيع السابق وهي: القلب، الشغف، الفؤاد، حب القلب، سويداء القلب والمهجة الدم، وينظر كلا منها وظيفية معينة من وظائف التوفيق على هذا الترتيب: الإيمان، المحبة والعشق، المشاهدة أو الرؤية الإلهية، الحضرة الإلهية المكاشفات الغيبية التجلي<sup>2</sup>، ومن هنا تنتج لنا أدوات وملكات ابن عربي التي تعتبر المبادئ الأساسية في روحانيته وكان زاعماً على تحققها في الحياة أولاً وفي الزهد والتصوف إلا أنه لا يستطيع أن يفصل بينها فصلاً تاماً وكان من المستحيل لابن عربي روحي.

### أوجه التشابه:

لم يحظى دور العقل والروح في مفهوم الحب الإلهي عندهما بالإهتمام الكافي كغيرهما من المفاهيم.

إن الفكر الإنساني يعتمد على الإرادة الانسانية والحب الإنساني تماماً مثل إعماده على المعرفة والإرادة والحب مرتبطان عند الله، أي في الطبيعة الإلهية، وبدون الأفكار فلن تكون للإنسان إرادة وبدون الإرادة يصير الإنسان بغير حب، ولهذا يقول توما الأكويني: إن من يمتلك الفكر يمتلك الإرادة ويضيف قائلاً: ومن يمتلك الإرادة فله حب<sup>3</sup>، فالحب \* عند توما الأكويني مرتبط بالمعرفة والإرادة لا تكون في الإنسان محبه فمطور توما الأكويني للإنسان على أن من يمتلك فكر تكون له إرادة ومن له إرادة فله حب والحب تمتلكه بالفكر والإرادة وبدونهما لن تكون في الإنسان محبة.

<sup>1</sup> نظلة أحمد الجبوري: سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، ص 148.

<sup>2</sup> أسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه، ص 116.

<sup>3</sup> ماهر عبد القادر وحري عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص 447.

\* الحب عند توما الأكويني: عشق وانجذاب للمحرك الأول وهذا الفهم للحب يقترب من المعنى السابق ونجده عند أرسطو (384 - 322 ق-م) ويعني به العشق الذي يجذب الموجودات كلها على المحرك الذي لا يتحرك أو المبدأ الأول يقول في (كتاب الطبيعة) المقال الثاني عشر، الفصل السابع فقرة (أ): "وتحريكه (الوجود الأول) إنما يكون عن طريق انه معشوق ومعقول فالأشياء المحركة على هذه الجهة إنما تتحرك من غير أن تتحرك، وفي المبادئ الأولى، المعشوق والمعقول والمفضول هي شيء واحد، وما هو حسن نشتهيه ونشأته لأنه نراه حسناً والأول نختاره لأننا نراه حسناً ونشتهيه لأننا نعلقه وليس أننا نعلقه لأننا نشتهيه، وابتداء العشق إنما هو ما يعقله العلة الأولى: ينظر إلى: معنى زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، ص 350.

فالحب الصوفي ظاهره طبيعي وباطنه روحاني ، فالحب الروحاني يتمثل في الزهد والتجرد من طيات الحياة سعياً للفناء في الذات الإلهية والشاعر الذي يعشق هذا الحب الأفلاطوني يهب نفسه كلها لله ولا يرغب في شيء آخر سوى الله<sup>1</sup> فالحب\*\* عند الصوفي: هو التخلي عن كل ما في الحياة الإنسانية ومحبة الصوفي تكون روحانية مترتبة على تصور الكمال المطلق ولا يرغب ولا تكون له حاجة في الحياة إلا الإلتقاء بالمحبوب (الله).

"الإلتقاء" عقل الاكوييني بالجانب الأنثروبولوجي عند ابن عربي حيث الربط الفريد بين العقل والإيمان والامتزاج بين إبداع العقل وقداسية النقل: في أن القديس توما يضيف أن النفس نوع من الحدود أو التخوم بين العالمين ، أو هي مركز التقاء الأرواح الخالصة (الملائكة) والحيوانات غير عاقلة وعلى ذلك فإن الفلسفة المسيحية توسع الأرض التي يكتشفها الإنسان حين يدرس نفسه اتجاه مزدوج ، فالأخلاقيون المسيحيون يلتزمون بدراسة الضمير من أجل تقدم حياته الداخلية أو الباطنية، ومن ناحية أخرى فإن الفلاسفة يعيدون إدخال قدر معين من النزعة الطبيعية التي أهملها الأخلاقيون، ذلك لأنه لن يكون من الممكن أبداً أن تعرف عالم الإنسان الصغير ما لم نعرف شيئاً عن العالم الكبير<sup>2</sup> ، هنا ترى الجهود التي بذلها رجال العصور الوسطى وحتى عصر النهضة ، وذلك العمل على إنشاء انثروبولوجية كاملة تعمل فيها على الانتقال من الوصف التفصيلي للجسم إلى الوصف التفصيلي للروح ومنه إلى معرفة الله.

الموضوع الطبيعي لعقلنا هو الوجود هو بالفعل: الوجود والموضوع الذي يكفي العقل ويشبعه هو نفسه الموضوع الطبيعي ، أعني انه أيضا الوجود ، وهو على وجه الدقة والوجود في لا تعينه الكامل ، وما الذي نحتاج إليه لكي نصل إلى الله؟<sup>3</sup> ، هو أن الله ، بعد أن ندرك وجوده بالعقل الطبيعي فإننا نرتقي إلى الوصول للرؤية السعيدة وهي الرؤية اللامتناهية التي يسعد إلى رؤية الوجود الإلهي من حيث هو إلهي على حسب الدقة والمعرفة وهذه المعرفة التي يعجز كل مخلوق على الوصول إليها بذاته.

فمن ناحية المنهج يشتق العقل مبادئه مما غرس فيه من مبادئ عقلية ولا يهيب إلا بسطان العقل ، وعلى العكس من نجد النقل يلجأ إلى طرق ثلاث: أولاً ما أتى به الوحي مسجلاً في الكتب المقدسة ، وثانياً إلى كل ما يتفق وكمال الله وثالثاً إلى كل ما يتفق مع قدرة الله المطلقة ، كذلك يختلف العقل عن النقل من حيث التركيب: فالعقل يبدأ دائماً من

<sup>1</sup> محمد عباسة: مجلة حوليات التراث، ص 09.

\*\* الحب عند الصوفي: هنا معنيين: محبة الخلق هي الميل على الشيء والاستئناس به، وهي حالة يجدها المحب مع محبوبه أما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها في قلبه تلتف عن العبارة وقد تحمله تلك الحالة على التنظيم له وإيثار رضائه وقلة الصبر عنه، والاحتياج إليه وعدم القرار من دون الاستئناس بدوام فكره له بقلبه ولا توصف المحبة بوصف ولا تحد بحد أوضح ولا اقرب إلى الفهم من المحبة، ينظر إلى: معنى زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، ص 351

<sup>2</sup> إتين هنري جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص 279.

<sup>3</sup> نفسه ، ص 331.

المحسوس لكي يرتفع منه إلى المعقول ، وبالعكس يبدأ النقل من الله كي يصل إلى المحسوس ، وطريقه وهو الطريق الأوفق لأن الله يدرك الأشياء بإدراكه لذاته<sup>1</sup> ، ومن هذا الموقف نستطيع أن نصل إلى توما الأكويني فهو لا يخلط بين العقل والنقل ولا يميز بينها ، ولا يفصل بينهما فصلا تاما ومنه فالأكويني يستحق هذا التبجيل والاحترام في تاريخ الفكر الفلسفي ليس بوصفه فيلسوفا لاهوتيا ، ولكن بوصفه فيلسوفا خاض مشكلات هامة تتعلق بالحياة الروحية للإنسان.

فالنفس الإنسانية تدرك الماهيات بقوة خاصة هي العقل ، لها فعل تستقل به دون جسم ، مما يدل على أن العقل روحي وأن النفس روحية<sup>2</sup> ، فالملاحظة هنا أن النفس لا تفسد في حين العقل كذلك لا يفسد لأنهما روحيين وغير فاسدتين بالذات ، لأنهما قائمين بذاتهما ، فالنفس والعقل يقيان بعد فساد الجسم.

تأثر القديس توما الأكويني بالثقافات السابقة: فغلطة القديس توما الأكويني - في نظره - هي انه تابع أرسطو وابن رشد ، تابع فيلسوفا وثنيا "وشارحه التعس" بدلا من أن يتبع المثل الحقيقي للتراث المسيحي ألا وهو القديس أوغسطين<sup>3</sup> هنا ليس نقدا للمذهب الأسكولائي وإنما هي طعنة في صميم قلب توما الأكويني ولو كانت أوغسطينية أكثر لكانت دينية أكثر مما تحمله من حقائق مسيحية أكثر.

إن المرء يندهش في بعض الأحيان وهو يرى القديس توما الأكويني يشرح كتاب "الطبيعة" كلمة كلمة ويقف طويلا مدققا عند فكريتي القوة والفعل كما لو كان مصير اللاهوت الطبيعي متوقفا على هاتين الفكرتين<sup>4</sup> ، فالقوة متحققة في الذات الإلهية تحققا فعليا وهذا يعني أن الله تام الكمال وان ماهيته طبيعية لا تنقصها المقدره فالقوة تجعله موجودا بالفعل في حين أن القوة تجعله أكثر عمومية وشمولية من الماهية.

لقد إستشهد توما الأكويني كذلك بصفات الله التي وردت في الكتاب المقدس إن الله "حي" وهو "محب" ولأنه لاجسماني فهو عليم وعلمه مطلق<sup>5</sup> ، بما أن الله ذو عقلانية خالصة وصف بأنه حي وبما أن الله عليم وعلمه مطلق يوضح من هذا أن الله هو علة الأشياء جميعها.

لكن من الملاحظ أن توما الأكويني رفض هذه الفكرة الأفلاطونية رفضا باتا ، وذلك لأن كلا من الحيوان والإنسان لا يشتركان في خاصية الإحساس<sup>1</sup> ، مما يلاحظ أن لكل من الإنسان والحيوان "جسد" وكل جسد يختلف عن الآخر في جوهره فهما جوهران جوهر إنساني وآخر حيواني.

<sup>1</sup> عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى ، ص 136.

<sup>2</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص 155.

<sup>3</sup> آئين هنري جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص 43.

<sup>4</sup> نفسه ، ص 109.

<sup>5</sup> ماهر عبد القادر وحري عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص 439.

القديس توما الأكويني يصطنع تعريف شيشرون ، لأنه يعتقد بالقانون الطبيعي ويجعل منه الأساس القريب للاجتماع ، يستند إلى الأساس البعيد والأول الذي هو القانون الأزلي<sup>2</sup> ، فقد أوجد الله الإنسان مدنيا بالطبع ، مرتكزا على المبادئ الأولى: كالحق والخير ومقرراً من هذا أن كل سلطان فهو آت من الله.

في حين نجد تأثير ابن عربي بالثقافات السابقة: لتقوية وتأكيده ما يطرحه ، إلى جانب القرآن والأحاديث ، إتجه صوب المتصوفة المسلمين فأخذ منه وإعتمد عليهم في وضع نظرية الاتحاد والفناء وإتجاهه صوب الحب الإلهي ، ووقف على أفكار الحسين بن منظور الحلاج في النور المحمدي والإله الإنساني مبلورا نظريته في الإنسان الكامل<sup>3</sup> ، من هنا ينتج أن نظرية ابن عربي في وحدة الأديان كانت أساساً في مذهبه وحدة الوجود ووقف ابن عربي عند الحلاج في فكرة اللاهوت والناسوت فاعتمدها ابن عربي في بناء مذهبه من ناحية العلاقة بين الحق والخلق.

ينطلق ابن عربي لتأكيد نظريته في وحدة الوجود من الحديث عن صدور العالم التي مزجها بتاريخ آدم ، وقرر انه وقع فيضان الأول الذي عنه وجدت المادة المستعدة لتقبل الصور، ثم أعدها لقبول الحياة الإلهية والثاني وهو الذي أنتج الموجودات الشخصية بإظهار الكائنات التي أريدت بهذا الإعداد وعن الفيض الأول نتجت الجواهر المعينة أو الكليات واستعداداتها المحددة لها في العلم الإلهي وعن الثاني نتج التحقيق الخارجي لهذه الأشياء ، ونتائجها المرادة منها<sup>4</sup>، إذن ابن عربي نظريته كان منطلقها أو صدورها بصدور العالم وذلك بتاريخ بداية آدم عليه السلام ومنه تبلورت الصور وأعدت للحياة الإلهية ومنه أنتجت الموجودات الداخلية الجوهرية والخارجية كالأشياء وذلك من خلال الكليات في العلم الإلهي لتحقيق العالم الخارجي.

وليس في عقيدة ابن عربي تغيير لعقيدة التوحيد الإسلامي وليس من التسهيل الحكم على رجل كابن عربي بأنه يغير عقيدة التوحيد الإسلامي ، وهي "لا اله إلا الله" ، وهو الذي كان يعظم الشريعة أيما تعظيم ، ولكنه يقرر: "أن الحق ثابت في ألوهيته قبل إثبات المثبت ، ومن كان ثابتاً لا يحتاج إلى إثباتك، إذ ما ثم من تثبت ألوهيته من الخلق حتى ينفي ، وإنما تعبد المؤمن بذلك على سبيل التلاوة ليؤجره الله على ذلك"<sup>5</sup> ، نرى أن عقيدة ابن عربي مصاحبة لعقيدة التوحيد الإسلامي ويشتركان في شهادة "لا اله إلا الله" إلا أن ابن عربي في ثباته للحق مغاير ورؤيته بالغة وذوقه عال في الفهم ولا يستطيع أي كان فهمه واستيعابه .

<sup>1</sup> ماهر عبد القادر وحربي عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى ، ص450.

<sup>2</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص163.

<sup>3</sup> نظلة احمد الجبوري، سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، ص124.

<sup>4</sup> محمد عباسية: مجلة حوليات التراث، ص57.

<sup>5</sup> عبد الحفيظ فرغلي علي القرني: الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي سلطان العارفين، ص161.

يقول الدكتور: محمد مصطفى حلمي: "ومن هنا ذهب فريق من المتعصبين على التصوف والصوفية تعصبا قوامه سوء النية ، أو نقص الفطرة أو العجز عن فهم الحقائق الدقيقة ، والمعاني الدقيقة إلى الإرجاف بالصوفية والتشنيع عليهم ، والغض من القيم الروحية والمعاني الخفية التي تنطوي عليها الألفاظ والعبارات الغزلية والخرمية ، وأما أن هذه الألفاظ رموز وإشارات فذلك مالا تفهمه عقول المتعصبين" <sup>1</sup> ، هذا ما تأثر به محي الدين ابن عربي وما سرد ووقع في حقه إذ ثار به وشنع عليه كل من العامة ورجال الدين عندما وقفوا على ما نظمته من شعر في حبه الإلهي.

### تأثير كل من الأكويني وابن عربي على المناهج الدراسية في الجامعات الأوروبية:

توما الأكويني: في باريس علم أربعة سنين (1269-1272) وهو في صراع عنيف مع الرشديين من جهة وكانوا قد تكاثروا في كلية الفنون مع الأوغسطينيين من جهة أخرى في أشخاص أساتذة كلية اللاهوت جميعا تقريبا ، يناوئه هؤلاء لأرسطوطاليتيه <sup>2</sup> ، فكان توما الاكويني في ذلك الحين يعمل على زرع تأويل أرسطو ورسالته كانت بعنوان " في وحدة العقل" ردا على الرشديين والثانية: "في أزلية العالم ردا على المتذمرين" وهو الأوغسطينيون الذين كانوا يقرون بأزلية العالم .

في حين تأثر دانتي أليغيري بابن عربي: كما تأثر دانتي أليغيري (1265م-1321) أيضا في الكوميديا اللاهوتية والحياة الجديدة بابن عربي ورحلة "الإسراء والمعراج" فالصور التي رسمها دانتي لتمثيل الجنة والنار والمطهر تتفق وما رسمه ابن عربي في كتاب "الفتوحات المكية" ، وأن كثيرا من الأوصاف والتعريفات التي جاءت في الكوميديا اقتبسها دانتي من قصة "المعراج" <sup>3</sup> ، إذن فلو تفحصنا كتاب المعراج لابن عربي الذي يسرد ويشرح بعروج الرسول ﷺ وبين الكوميديا الإلهية للشاعر الإيطالي الكبير دانتي أليغيري.

رغم أننا نجد توما الأكويني حرص على إنشاء معهد جديد: عاد إلى إيطاليا لإنشاء معهد عال جديد، فاختار نابولي مقراً له ، واستأنف التعليم ، حتى كان السادس من ديسمبر 1273 فإذا تغيير بالغ يعرض له أثناء القداسة عن التعليم وعن الكتابة والإملاء في ذلك فيقول: "لقد أوحيت إلي أشياء ما أرى ما كتبتة كالهشيم بالقياس إليها ، ومن ذلك اليوم فرغ للعبادة" <sup>4</sup> ، في حين أنه ترك القسم الثالث من المجموعة اللاهوتية ناقصاً فأتمه زميله في الرهبة وكتابه مدة الخمس عشر سنة الأخيرة.

في حين تأثر رامون لول بابن عربي: وقد استخدم فيه ألفاظ ومصطلحات سبقه إليها محي الدين بن عربي ، على الرغم من أن الرجلين يختلفان في بعض المبادئ كوحدة الوجود وقدم العالم ، إلا أن لو لم يوضح تماما موقفه من وحدة الوجود فجاء أسلوبه غامضا حول هذه المسألة نظرا لتأثره بمنهج الغزالي وإعجابه بابن عربي <sup>5</sup> ، فقد كان رامون لول يعشق الله والمسيح

<sup>1</sup> عبد الحفيظ فرغلي علي القرني: الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي سلطان العارفين ، ص166.

<sup>2</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ص142.

<sup>3</sup> محمد عباسة: مجلة حوليات التراث، ص 18.

<sup>4</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص143.

<sup>5</sup> محمد عباسة: مجلة حوليات التراث، مرجع سابق، ص 17.

والمسيح وأمضى حياته متنقلا مثلما فعل ابن عربي وغيره مما أحبوا الله وتنقلوا بين المشرق والمغرب وجاء بمذهب غامض إلا أنه لم يذكر مصادر مذهبه ورغم إعجابه وحبه واحترامه للمسلمين إلا أنه لم يستطع تقبل عقيدة الإسلام.

لم يجتمع كل من الفلاسفة والمفكرين في إعطاء تعريف واحد شامل للحب الإلهي فقد اختلفوا في تعريفه عبر الفلاسفة والعصور.

في رأي توما الأكويني المحبة مصدرها الإيمان ومصدر المحبة الرجاء حيث أن العقل عند توما الأكويني لا يفوق الكمال ولا يمكنه أن يدرك الذات الإلهية إدراكا تاما.

براهين وجود الله عند توما الأكويني تنطوي على خمس براهين (المحرك الأول، العلة الأولى، الممكن الواجب، المراتب الموجودة، تدبير الأشياء).

الصفات الإلهية في نظر توما الأكويني سلبية (الله جسم، الله مركب، الله بسيط) وهي صفات قام توما بالرد عليها ونقدتها في حين هناك صفات إيجابية (الكمال الإلهي، قوة الخلق) والتي قام بإثباتها.

أما بالنسبة للصوفي ابن عربي شأن الصوفية وهو يقر بأن الحب الإنساني هو عين الحب الإلهي ومنه أصبحت قيمة متبادلة بين الخالق والمخلوق، حيث يقول أن الحب ما يكون إلا لغير خالقه أما عن مراتب الحب فهي ثلاث: طبيعي، روحاني، إلهي.

أما عن العقل عند ابن عربي فهو الأداة التي تميز الإنسان عن الحيوان فما خلق الله الإنسان الا من شأن العبادة ومنه يجب عليه التحلي بالعلوم ومكارم الأخلاق.

دعا توما الأكويني إلى تجديد الخطاب اللاهوتي من خلال تطويعه للفلسفة الأرسطية لتنسجم مع معتقداته الإيمانية جاعلا من الفلسفة والعقل أداتين في يد الإيمان أما عن ابن عربي فقد احتل الرمز عنده وفي مكانة كبيرة حتى استدعى من ابن عربي أن يوضح معانيه في بعض الأحيان.

توما الأكويني يسعى لتحقيق أكبر قدر من ممكن من الوضوح والدقة وابن عربي عبر عن مراميه شعرا ورمزا حيث عول على الإلهام والكشف الروحي .

توما الأكويني عقلائي صرف في حين ابن عربي روحي ومنه تكامل العقل والروح الاكوييني في البراهين العقلية غايته المنشودة لتوسيع العقيدة المسيحية والدفاع عنها وبناء لاهوت جديد يقوم على تقديم النص المقدس باستخدام أدوات العقل (من خلال المقارنة أو المقاربة بين العقل والنقل).

ابن عربي قدم منظومة رمزية للرؤى العميقة التي ليس بالإمكان تحصيلها إلا بالهام الحق تعالى فهي علوم لا يستطيع العقل الوصول إليها باجتهاده الخاص وبالتعويل على أدواته وملكاته فقط كذلك لا يمكن للغة أن تصف بدقة هذه الإلهامات ولا يمكن للخبرة إلا أن كل منهما لم يخطئ في مفهوم الحب الإلهي و الاهتمام الكافي كتغير هما من المفاهيم حيث إلتقى عقل الأكويني بالجانب الأنثروبوجي عند ابن عربي وذلك من خلال الربط الفريد بين العقل والإيمان والإمتزاج بين إبداع العقل و قدسية النقل.

تأثر كل من الأكويني وابن عربي بالثقافات السابقة عليهما وأثر كل منهما على المناهج الدراسية في الجامعات

الأوروبية.

- المصادر:

• القرآن الكريم

1. توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية: م4، تر: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، (د.ط)، 1898.
2. توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية، (م1)، تر: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، (د.ط)، 1881.
3. توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية، م3، تر: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، (د.ط)، 1861.
4. توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية، م5، تر: المطران بولس عواد، بيروت، (د.ط)، 1908.
5. محي الدين ابن عربي: الحب والمحبة الإلهية، تر: محمود محمود الغراب، دمشق، ط1، 1992.
6. محي الدين ابن عربي: الكتاب التذكري، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ط)، 1969.
7. محي الدين ابن عربي: تهذيب الأخلاق، تحقيق الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، ط1، (د.ت).
8. محي الدين ابن عربي: لوازم الحب الإلهي، تحقيق وتعليق موفق فوزي الجبر، دار معد والنمير للطباعة، بنان قسطنطين، ط1، 1998.
9. محي الدين ابن عربي: الفتوحات المكية (ج1)، تحقيق عثمان يحيى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1974.
10. محي الدين ابن عربي: الوصايا، دار الإيمان، بيروت، ط1992، 2.
11. محي الدين ابن عربي: رسائل ابن عربي، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح، الانتشار العربي، بيروت، ط2001، 1.
12. محي الدين ابن عربي: كتاب الأنوار، مكتبة عالم الفكر، ط1، 1986.
13. محي الدين ابن عربي: الفتوحات المكية، ج2، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
14. محي الدين ابن عربي: الفتوحات المكية، ج3، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1999، 1.

- المراجع:

1. أ جورج منزريدي: الأخلاق المسيحية، تر: ميشال نجم، جميع الحقوق محفوظة.
2. ابراهيم ابراهيم محمد ياسين: مدخل إلى التصوف الفلسفي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، (د.ط)، 2002.
3. إتين هنري جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، ط6، 3، 1996.
4. أحد ديدات: الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، تر: محمد مختار، مكتبة نرجس، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
5. أسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه، تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة الأناجيل المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1995.
6. أليسكي جورج إفسكي: الإسلام والمسيحية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1978.
7. أميل برهية: العصر الوسيط والنهضة، ج3، تر: جورج طرايشي، بيروت، (د.ط)، 1988.
8. أنا ماري شميل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، تر: محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، ألمانيا، ط1، 2006.

9. تور أندرية: التصوف الإسلامي، تر: عدنان عباس علي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط2003، 1 محمد الحسن بن مسعود: معالم التنزيل، ج3، تحقيق عثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم، الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1997، 4.
10. جونو برتراند رسل: تاريخ الفلسفة العربية، تر: زكي نجيب محمد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د.ط.)، 2010.
11. الخوني يوحنا أنجلو: اعترافات القديس أوغسطين، دار المشرق، بيروت، ط1991، 1.
12. دومنيك فولشيد: المذاهب الفلسفية الكبرى، تر: مروان بطش، جميع الحقوق محفوظة، ط2011، 1.
13. ر.أ. نيكلسون: الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 2002.
14. عبد الحفيظ فرغلي القرني: الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي سلطان العارفين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط.)، 1986.
15. عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ولبنان، ط1979، 3.
16. عبد القادر احمد عطا: العبادلة، مكتبة القاهرة، ط1969، 1.
17. عبد الله ابن المقفع: كليله ودمنة، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ط.)، 1994.
18. عبد الوهاب فرحات: نظرية الإنسان عند محي الدين ابن عربي، إشراف محمد عبد اللاوي، أطروحة دكتوراه دولة في العلوم الإسلامية، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، (د.ط.)، 2004.
19. الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، ج1، تقديم طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفاء، القاهرة، ط2003، 1.
20. فايز فارس: الأخلاق المسيحية، دار الجيل للطباعة، القاهرة، ط1، 1992.
21. فوزي محمد أبو زيد: الصوفية في القرآن والسنة، دار نوبار للطباعة، ط2، 2008.
22. ماهر ع القادر محمد وعباس حربي عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، (د.ط.)، 2000.
23. محمد حسن عبد الرحمن: براهين تحتاج إلى التأمل في ألوهية المسيح، دار الكتاب الحديث، ط1، 1989.
24. مسيون مسلاقي: قراءة معاصرة لآكار ابن عربي، جميع الحقوق محفوظة، ط1997، 1.
25. ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الاكويني، كلية الآداب الاسكندرية، (د.ط.)، (د.ت.).
26. نصر حامد أبو زيد: هكذا تكلم ابن عربي، الهيئة المصرية، (د.ط.)، 2012.
27. نظلة أحمد الجبوري: المتصوفة في العشق والمعرفة، الفكر الجديد، دار المدى، ط2016، 1.
28. هالة العوري: الفناء في الإنسان كبار الصوفية، جميع الحقوق محفوظة، (د.ط.)، 2013.
29. هانري كوربان وآخرون: تاريخ الفلسفة الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1998، 2.
30. وبوخران: تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطة، تر: علي زيعود وعلي مقلد، (د.ط.)، 1993.
31. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط.)، 2012.

- المعاجم والموسوعات:

1. إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، القاهرة، (د.ط)، 1983.
2. رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان، ط1999، 1.
3. علي مولا: الموسوعة العربية المسيرة، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت، ط2010، 1.
4. فؤاد كامل: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
5. القيشري أبو القاسم: الرسالة القيشرية، تحقيق عروف رزيق وعلي عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط2، (د.ت).
6. معنى زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية (المجلد الأول)، مكتبة مؤمن قريش، ط1986، 1.

- المجالات:

1. محمد عباسة: مجلة حوليات التراث، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، العدد10، (د.ط)، 2010.

- الندوات:

1. القمص أشعياء ميخائيل: السلام الداخلي، ندوة شبابية 11، (د.ط)، (د.ت).